يحل النور...

وقصائد أخرى

باروير سيفاك

ترجمة مهران ميناسيان



ليحلّ النور....

وقصائد أخرى

* ليحلّ النور.... وقصائد أخرى
* باروير سيفاك
* ترجمة: مهران ميناسيان

* الطبعة الأولى 1995
* الناشر:
* دار الحوار للنشر والتوزيع
اللاذقية ص .ب 1018- هاتف 422339
تلكس BOOTH - SY 415086 - سورية
* نادي الشبيبة السّورية. اللجنة الثقافية
حلب - ص . ب 3699 - سورية

* تصميم الغلاف: الفنان اردو هامبار تسوميان

باروير سيفاك

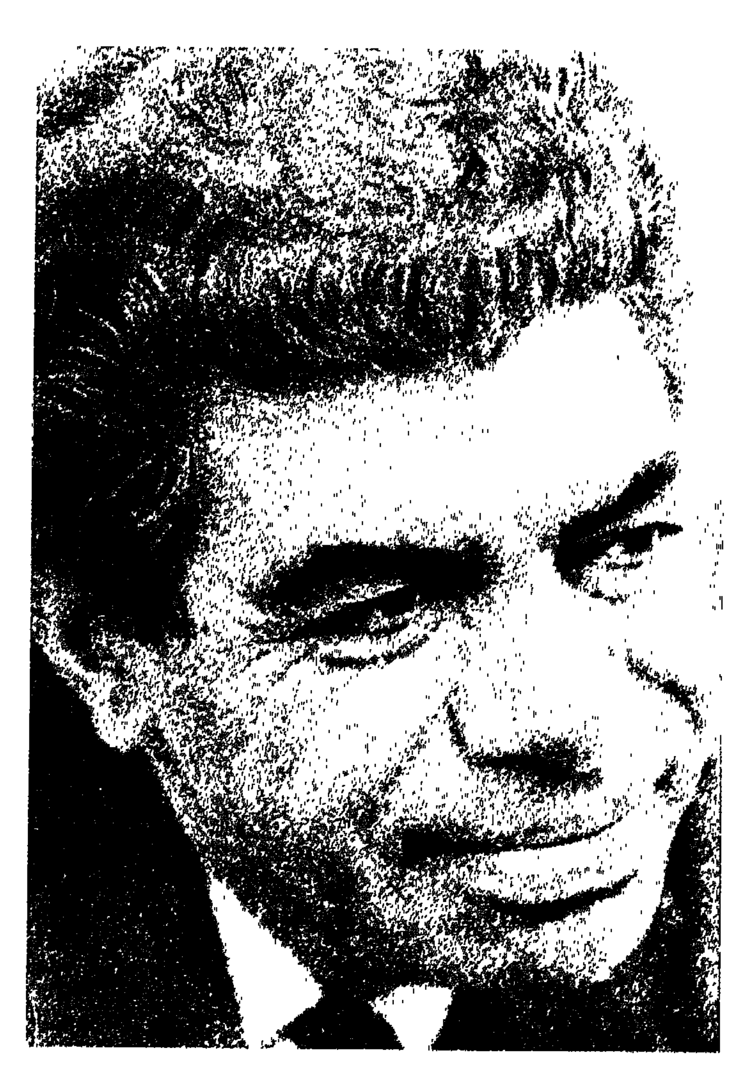
ليحلّ النور....

وقصائد أخرى

ترجمة: مهران ميناسيان

سلسلة روائع الأدب الأرمني - 3





الشاعر باروير سيفاك



لهذا نبغ باروير سيفاك

أمّة ذاقت الأمرّين، ولم تكن تريد أن تقف على حلبة الصراع السياسيّ آنذاك بقدر ما كانت تريد أن يعيش شعبها بأمان ورفاه وطمأنينة، ومع هذا خشي المكابرون من إرادتها للحياة، حيث فسّروا نبوغ أبنائها، وحبهم للبحث والعمل من أجل بناء حضارة الإنسان بنيّة سيئة، كانوا يخافون إبداع أبناء هذه الأمة في المجالات كلها، فرسموا صورة الشيطان في ذاتهم، ونفخوا فيه الحياة، ثم أطلقوا سوطاً، وحربة مسمومة، ورصاصة رعناء، وسكيناً مشحوذة، ومن هنا - فقط - بدأت مأساة الشعب الأرمني.

مذبحة لم تشهدها أعصر الجاهلية الإنسانية تعرّض إليها شعب بسيط لا لذنب اقترفه سوى أنه كان يحب الحياة ويتطلّع إلى مستقبل أفضل إلى الكون كله، شعب أراد أن يساهم في صناعة الحياة بمعانيها كلها دون حقد أو ضغينة، شعب كان يعمل في وضح النهار وتحت أشعة الشمس منطلقاً من تاريخه بتراثه الإنساني بأكمله، ولم يسمح لذاته أن يرسم الطمأنينة والسلام في دجنّة الليل، لأن يدرك تماماً بأن أشجار الزيتون لا تنمو دون أن تقبّل أغصانها وجنة الشمس، وأن اليمام الأبيض لا يخفق الهواء بأجنحته بين جدران الزنازين الرمادية الرطبة، بل يحتاج إلى فضاء رحيب، وسماء صافية تلوّن زرقتها أضواء الطبيعة المعطاء.

لقد أبيد الأرمن لأنهم كانوا طلاّب حياة يسودها السلام العالمي،

وتحددها الأخوة الإنسانية بصرف النظر عن العرق والعقيدة والإيمان.

ولست بصدد الحديث عن المآسي التي تعرّض إليها الشعب الأرمني، إنما أردت فقط أن أقدّم الأسباب التي ساهمت بشكل يُثقل الضمير الإنساني إلى يومنا هذا، في غربة الأرمن وشتاتهم في أصقاع الأرض كافة.

كما أنني لا أريد الحديث عن جغرافية الأرمن، لأنهم يعرفون كل شبر خلقوا من ذرّات ترابه تأريخاً، ثم أنطقوه شهادة أمام التاريخ، والتاريخ المكتوب بحبر قدسي هو الشاهد الأصدق في محراب العدالة الإنسانية، على عذابات شعب بدأ في جمع شتات فكره وتوثيقه، ليدلل أولاً على مقدرته الإبداعية الهائلة في صنع الحياة فحسب، بل وفي تصنيع الفكر الإنساني والإسهام في توجيهه نحو بناء الكون الجديد النظيف روحاً وطبيعة، وعلائق إنسانية بلا حقد ولا ضغينة.

وما يعنيني هنا تناول جزء يسير من إبداع فكري خلاّق لابن بارّ من أبناء هذه الأمة التي تشهد الأسرة الإنسانية قيامتها الثانية على شكل يدعو إلى التفاؤل.

عندما قدم لي الصديق مهران ميناسيان ترجمته لبعض قصائد سيفاك طالباً مني أن أكتب مقدمة لهذا العمل الذي نقله - بتمكن - من اللغة الأرمنية إلى اللغة العربية، قرأت القصائد بتمعّن وتركيز شديدين، لا لأتمتع بموضوعاتها، بل لأبحث في ما وراء المعاني، أن أخلق في ذاتي المقدرة للوصول إلى ما وراء الصورة الشعرية، حيث اصطلح النقاد على وسمه بالرمز، ثم قمت بمقاربة « تخميناتي » ووضعها في صورة اجتهاد شخصي يرسم شخصية المبدع الراحل باروير سيفاك، والذي لم أكن قبل هذه الترجمة المتقنة لبعض من أعماله، لأعرف عنه سوى النزر اليسير. ومن خلال الكشف الكافي الوافي الذي قدّمه المترجم عن الشاعر، وتلك الاضاءات السريعة على شعره وحياته، استطعت - دون شك - الاقتراب من دواخل هذا الشاعر المبدع، مطمئناً إلى صحة تخميناتي في تحليل شعره. فالشعر هو صورة

«ايكوغرافية » لأعماق الشاعر، أو هكذا أستطيع الزعم هنا. بارويز غازاريان ولد عام 1924 أي زمن التخطيط الحقيقي لإبادة هذا الشعب، ولم تجف بعد أنهار الدماء التي أريقت – بلا إنسانية – عام 1915 فبعد تسع سنوات يلد الطفل بعيداً عن موطن المأساة، لكن التراتيم التي كان ينام على هنهناتها كانت حزينة فيها حشرجات مريرة، والأغنيات، وحكايات ما قبل النوم، كلها سيمفونيات عنوانها المأساة ونغمها الأنين، وموضوعاتها قصة المأساة، والتي قررت الأمهات الأرمنيات أن يرضعنها لأطفالهن، لا حقداً وضغائن، إنما إبعاداً للذين سيكبرون عن فعل الشر، وتوجيههم نحو الخير.

واختار الفتى أن يدرس الأدب الأرمني ليطلع على الحقيقة من خلال التراث الأدبي والشعبي لأبناء أمته، ودرّس آراءه للجيل الذي يليه وكأنه أراد أن يساهم في صنع الحلقة التي تكمّل سلسلة قصة شعب منذ البدء. وعندما عمل في الصحافة كان يريد مساحة أكثر رسمية ليطرح أفكاره وقناعاته على أبناء شعبه، بعدها أكمل حياته القصيرة كما أراد لها، وكان صوته عالياً دائماً لأنه يشعر بأن الإنسان لا يمتلك الحرية كون الآخرين بجبروتهم يعدّون عليه أنفاسه، ويصادرون إرادته في التعبير عن هذه الحرية:

لقد أصبحت سبحة بين أصابعكم
تلهون بي،
وتعدّون حبّاتي
ومع هذا تريدون مني:
ألا أرفع صوتي عالياً...

هكذا ببساطة، الضغط يولّد الانفجار، وتشييئ الإنسان مرفوض لأن الله جلّ شأنه خلق الإنسان حراً بالأصل، إذن فشعوره بالقهر هو السبب المباشر وراء ارتفاع رنة صوته، إنه يفتح فاه ليكون بوسع الكون قائلاً للخطأ: لا... للجناة لا ... لمصاصي دماء البشر: لا. وبالحب والإخاء، والحق في الحياة يزدهر الكون، وترنو الطبيعة نحو الإنسان

الذي هو المحور والأساس، وذا لا يكون إلاّ بالإيمان المطلق بالسلام والتعايش بين الإنسان وأخيه الإنسان على أسس الحق والعدالة والتكافؤ في ميزان الإنسانية:

– سلام –
أقول هذه الكلمة الوحيدة،
مثلما يبرز رجل هويته المختومة،
مثلما تُسرد سيرة حياة،
مثلما يُملِئ رجل استمارته.
وكنت أرغب،
أرغب كثيراً،
في أن تصبح هذه الكلمة
هوية في العالم أجمع
ولكل الناس.

هوذا يحفر خندقاً عميقاً ليدفن فيه الضغائن والأحقاد، والماضي المشوّه، وينظر إلى المدى، ويعلن على الملأ إيمانه بمجتمع إنساني بلا حروب أو كراهية، ويتمنى على البشرية جمعاء – والشعر بيانها، والشاعر رائدها – أن ترفع راية السلام وأن تكون ساريتها مصنوعة من شجر الزيتون، وأسجافها من ريش الحمائم البيضاء... إنها إنسانية شاملة تلك التي جعلت من شعر هذا الشاعر شارة ليست لأبناء أمته الأرمن فحسب، بل دخل فيها دائرة العالمية كما يدخل حملة شعلة الأولمبياد الحدود الدولية دون جوازات سفر.

الحب هو القاسم المشترك في كل القصائد التي بين أيدينا، والاحتجاج على ما كان، ورفض ما هو كائن، واستكناه، ما سيكون هو الناظم الذي بنى عليه الشاعر صوره التي أطرها بأخيلة تدفع بقارئه إلى حلم التفاؤل بمستقبل الكون حيث تصفو نفس الإنسان عندما يمتلك إنسانيته وهذا لن يحدث مالم يمتلك حريته، وهذا لن يحدث ما لم تتكاثف كل الجهود الخيّرة وتتضافر كل العقول النيّرة، لتدفن الإثم

والجريمة التي حدثت منذ زمن، فالشر متوارث، والخير متوارث، والإنسان هو قطب الرحى، وطبقتاها الإرادة، والتصميم على فعلها:

هذا، ومنذ 10 سنوات، منذ 110 سنوات، منذ 1010 سنوات
وأنا خائف،
خائف كثيراً
من المتزمتين والتابعين،
من المنافقين والمرائين،
إن كنتم آلهة
فاطفئوا كلّ شموعهم
اخمدوا كل قناديلهم
واطفئوا جميع مشاعلهم
ليحلّ النور...

لماذا تتالت العشرات / 10- 110- 1010 / إنها رموز رياضية، والرياضيات دليل دقة العقل وصحته ومقدرته على الفعل، والرقم المتكرر رمز لانتظام الكون، وتناغم، أدوات الطبيعة، وعلائق الإنسان بالكون، وفعله في الطبيعة.

وفي قصيدته « صانع الألعاب » إدانة حقيقية وبصوت عال لصناعة الفكر، ومن ثم تصنيع الرجال من خلل المؤسسات، صرخة احتجاج على غسيل الدماغ، وكل هذا يولّد الحقد، ويقتل في الإنسان إنسانيته.

ويدعّم نظريته الإنسانية بقصيدة « رئيس حفلة الأقنعة » حيث يرسم صورة كاريكاتورية للزيف والمزيفين، ويحذر من تلك الذئاب التي ترتدي فراء الحملان، ويتمنى أن تسقط الأقنعة، لتظهر الوجوه البشعة، ويبتعد العقل عنها، وتتجنبها الروح.

وباعتباره أن جوهر الكون الجديد الآمن المطمئن هو الحب فهو يعرّج إلى هذه الموضوعة بعدة قصائد من قصائده، ليجعل من الحب الفردي موضوعة شمولية، ويرى في الانثى الحبيبة تلك الحياة الجميلة التي رسم لنا معالمها بألوان الشفق القزحي، ونسج لنا أرضيتها بخيوط

الفجر التي استلّها من روحه وعقله.

أمّا إيمانه بانتصار الحق وبزوغ النور سيتحقق لا محالة طالما تنامى الوعي، وتحدث التاريخ، وتحررت الإرادة، ووعى الإنسان الكثير من المعاني النضالية من أجل تحرير القوتين الهائلتين اللتين ستبنيان الكون الجديد، العقل والإرادة:

قديماً
كانوا يحرقون أمثالنا في النار ...
أما اليوم،
فنحن الذين سنضرم النار،
سنضرم النار في أنفسنا.
وإذا كان الملح يخمد النار
فبنارنا هذه سنحرق الملح أيضاً.

إنه يطالب بالخلاص الجماعي، لا بالانتحار، أو إشعال الكون لتطهيره، أو تصنيع الطبيعة لمدنيتها، إنما بالتنوّر، بالتوهّج، العقلي والروحي وتثويرهما.

ويشي الشاعر بعمقه الثقافي، وخلفيته التي تقوم على التاريخ، وعلى إطلاعه الواسع في هذه المسألة، واستمتاعه بالميثلوجيا، لأنها العلاقة الحميمة بين الإنسان والخيال، وقد عبر عن هذا من خلال قصيدته « داء الإشعاع » الذي وصل فيها قمة الإبداع الشعري الذي أراد أن يسقط الماضي على الحاضر، وأن يمد الحاضر في أعماق الماضي لتستمر الحياة.

ويخالف قدماء الفلاسفة عندما وضعوا الشاعر بمرتبة الآلهة أحياناً وفي مرتبة الأنبياء في أحايين أخرى، وفي مرتبة الشياطين مراراً:

يصبحون شعراء في ذلك اليوم فقط،
عندما يفهمون،
وفجأة يدركون
بأن عملهم هو - فقط - تلك الزجاجة :
التي يلقيها البحار وهو يوشك على الموت

في مياه البحر

إنهم كبقية البشر، لكنهم ضحايا الوعي، لأنهم بالطبع رادة الوجود البشري وعلى فهمهم للواقع تتوقف الحياة:

مثل الجميع
هم أيضاً
لا يستطيعون العيش بدون أوكسجين
ولكنهم في كل دقيقة
يحترقون أولاً بدون أوكسجين
وبعده فقط يلتهبون كالفحم .

هم قمم شامخة، كقمم جبال آرارات، ولكنهم في النهاية بشر لا يجب أن نضع حولهم هالة من نور.

أما كيف تولد الأغنية الحقيقية، القصيدة الرائعة، كيف يبدعها الشاعر، فالإجابة عند سيفاك في غاية الشاعرية:

تولد الأغنية الحقيقية
مثل النار التي تولد من السلاح،
والتي تردّ الرامي إلى الخلف
وتقتل من تصيبه في الحال.

ويمضي الشاعر وحيداً يصعد عواطفنا، وكلما أوغلنا في التأمل في معانيه، واستكشفنا صوره، واستوعبنا أخيلته، نتغاضى عن غزوه لذواتنا حتى في أفكاره الساخنة التي تحرق وجداننا بينما نقارنها بزمننا الرديء هذا، مع أنه يشك بتجاوبنا الفوري مع ما يريد، فهو المدرك للمحيط بنا من معوقات النهوض الإنساني:

لو كنت أؤمن حقاً
بأن قصائدي ستفيدكم،
لأغدقت عليكم القصائد كأرتال الجيوش،
ولكن ما فائدة الجلوس وكتابة القصائد ؟

إنها لحظة اليأس الصوفي التي - عادة - يحسها الشاعر، فترة

الإحباط والشعور باللا جدوى يصورها بارویر سيفاك بكل صدق .

أجدني استطردت كثيراً، وخرجت عن إطار ما طلب مني وهو أن أقتصر على كتابة مقدمة لترجمة شاعر عاش سبعة وأربعين عاماً فقط وتخطفته المنون وهو في ريعان شبابه، وقمة عطائه، ولكن الذي يدهشنا هو موته، والذي يضخّم هذه الدهشة هي نبؤته في موته المجاني، أو الصدفة السهلة حيث عرض المترجم في مقدمته ظروف وفاته:

آه، يا للعجب، قطعت البحار
وفجأة... غرقت في الساقية.

لم أجد عند سيفاك - في شعره - أية دعوة إلى الثأر، الانتقام، إلى تأجيج الحقد في النفوس، بل صوّر في موضوعاته الشعرية: الجوع، النفي، السجن، القتل، الكفاح، وبالتالي إرادة الحياة، ودعا بإلحاح شديد إلى السلام والتآخي، وتلاقح الحضارات.

إن تجاوز الماضي المؤلم واللا إنساني، لا ينسيان ما حدث، أو التنكر للذين سقطوا أبرياء في أشداق الجوع والخوف والمرض، وجوف الوحوش الضارية إنسانية وحيوانية، إنما ببناء وطن قوي، ودولة عصرية.

وأخيراً لقد تشوّقت بعد أن قرأت الترجمة إلى معرفة المزيد عن أعمال الشاعر، وما هذا الذي قرأت إلاّ القليل بل المختار من عملين كما جاء في المقدمة، وحبذا لو اشترك القادرون على الترجمة من الأرمنية إلى العربية في ترجمة أعماله كاملة وجمعها في مجلد واحد بعد تصنيفه تصنيفاً دقيقاً يعتمد على توجّه العمل الإبداعي وليس تاريخه، وإذا كانت أمنيتي بعيدة المنال، فليبادر أحد المترجمين إلى ترجمة الملحمة المذهلة التي خلّفها سيفاك بعنوان « قبة الجرس الذي يقرع دائماً ».

مع شكري ثانية لصديقي العزيز الأديب مهران ميناسيان الذي كان له الفضل الكبير في تعريفي على الشاعر العملاق الراحل بارویر سيفاك من خلال ترجمته الجميلة المتقنة هذه.

وليد مشوّح

تشرين الأول - 1994

الشاعر بارویر سيفاك
حياته وشعره

يعتبر الشاعر الأرمني الكبير بارویر سيفاك من الشخصيات المتميّزة في تاريخ الشعر الأرمني، حيث استطاع، وخلال فترة حياته القصيرة، أن يترك لنا إرثاً أدبياً غنيّاً يتميّز بروح إنسانية وبآراء فلسفية ناضجة، وبمعالجته لهموم الإنسان المعاصر.

إن أغلب قصائد هذه المجموعة مأخوذة من ديوانيه « ليحلّ النور» و«الإنسان في راحة الكف». إذ يتميّز هذان الديوانان عن دواوينه الأخرى بأنهما يركزان بصورة خاصة على الهموم البشرية. ومن خلال هذين الديوانين نرى الوجه المتميّز للشاعر الذي رحل قبل أن يقول كلمته الأخيرة وهو في أوج تألقه وريعان شبابه.

حياته

اسمه الحقيقي بارویر غازاريان، من مواليد 26 كانون الثاني عام 1924 . ولد في قرية سوفيداشين (حالياً سيفاكافان) في أرمينيا.

تلقى تعليمه في قريته، ومن ثمّ التحق بكلية الآداب، قسم اللغة الأرمنيّة في جامعة يريفان وتخرج منها عام 1945 .

تابع دراسته في القسم الأدبي في أكاديمية العلوم في أرمينيا، وتخصص في تاريخ الأدب الأرمني القديم.

عمل ما بين عامي 1946 - 1951 بهيئة تحرير جريدتي «أفانكارت » و«الجريدة الأدبية»، وكذلك في الجمعيّة الأرمنيّة للصداقة والعلاقات الثقافية مع دول المهجر، ثم سافر إلى موسكو والتحق بمعهد «مكسيم غوركي» للآداب، وبعد تخرجه عمل مدرساً في المعهد ذاته إلى أن عاد إلى يريفان وعمل هناك في معهد الآداب التابع لأكاديمية العلوم.

في عام 1966 انتخب أميناً للسر في مجلس إدارة اتحاد الكتاب في أرمينيا وبقي في هذا المنصب حتى عام 1971 .

في عام 1968 انتخب عضواً لمجلس السوفييت الأعلى، وفي عام 1967 حصل على درجة الدكتوراة عن دراسته «صيات نوفا».

توفي بحادث سيارة أليم في 17 حزيران عام 1971 .

أعماله المطبوعة:

1 - « الخالدون يأمرون» (ديوان شعر) 1948 .

2 - « صداقة غير مسالمة» (ملحمة) 1953 .

3 - « درب الحب » (ديوان شعر) 1954.

4 - « معك من جديد» (ديوان شعر) 1957.

5 - « قبة الجرس الذي يقرع دائماً» (ملحمة) 1959.

6 - « عندما يتنافس البلد بأجمعه» (نثر) 1961 .

7 - «الإنسان في راحة الكف» (ديوان شعر) 1963 .

8 – « صيات نوفا» (دراسة) 1969 .

9 – « ليحلّ النور» (ديوان شعر) 1969 .

10 – « معارفكم» (قصائد للأطفال) 1971 .

11 – « مدخل» (بعض قصائده ورسائله التي لم تطبع في حياته) 1986 .

تمت الطبعات الأولى لجميع هذه الكتب في يريفان، وأعيد طبع بعضها في يريفان والمهجر مرات عديدة، كما طبع له عدة «مختارات» من قصائده. ومجموعة أعماله الكاملة في ستة مجلدات (يريفان، 1972 – 1976 ، 2536 صفحة بخمسين ألف نسخة)، وله العديد من المقالات في النقد الأدبي والدراسات في الصحف والمجلات.

عمل سيفاك في مجال الترجمة، حيث قام بترجمة عدداً من الكتب والدواوين والقصائد من الروسيّة إلى الأرمنيّة لكثير من أدباء روسيا وهنغاريا وأوكرانيا وشعوب دول الاتحاد السوفييتي السابق. طبعت بعض هذه الترجمات في الصحف والمجلات والمجموعات الشعرية، وبعضها الآخر في كتب، نذكر منها:

1– «قصائد»، أ. فيسلوفا، 1953 .

2– «مختارات »، أ. ميسكيفيتش، 1955 .

3– «مرحباً، أيها الأطفال »، جاني روتاري، 1956 .

4– «ثلاث روايات قصيرة»، نورا اطاميان، 1963 .

5– «الرّجل»، ايتوارتيس ميجيلايديس، 1965 .

6– «شعراء من هنغاريا»، 1968 .

كما قام بترجمة أعمال بوشكين وبوديف وفاليري بروسوف

ويان رايينسي وسيرغي يسينين ويوري ليرمنتوف وماياكوفسكي وميسكيفيتش وكثير غيرهم.

تُرجمت أعماله إلى العديد من اللغات، كالانكليزيّة والروسيّة والاستونيّة والجيورجيّة والأذريّة والفرنسيّة والعربيّة والأوكرانيّة والألمانيّة والبولونيّة والإسبانيّة والهنغاريّة والبلغاريّة والفارسيّة والتشيكيّة.

كتب سيناريو فيلم عن مسروب ماشدوتس (عام 1962) وآخر عن صيات نوفا (عام 1965).

كُتبت مئات المقالات والدراسات والأبحاث عن حياة وأدب باروير سيفاك أثناء حياته وبعد مماته، نذكر هنا فقط عناوين بعض الكتب التي أُلّفت عنه:

1- «بيبلوغرافيا عن حياة باروير سيفاك»، نينا هوفسيبيان، يريفان، 1968 .

2- «الفن اللغوي لقصائد باروير سيفاك»، ارداشيس بابويان، يريفان، 1970 .

3- «باروير سيفاك »، أرمين دونويان، طهران، 1973 .

4- «باروير سيفاك »، البيرت اريسداكيسيان، يريفان، 1974 .

5- «دوستويفسكي، تولستوي وباروير سيفاك »، يتوارت هوفهانيسيان، البندقية، 1977 .

6- «باروير سيفاك »، كيفورك أمين.

7- «إبداع باروير سيفاك »، نينا هوفسيبيان، يريفان.

8- «باروير»، ليفون هاخفيرتيان، بيروت، 1981 .

9- «معجم الكلمات المستعملة في شعر بارويr سيفاك »، ارداشيس بابويان، الجزء الأول، يريفان، 1981 (ويحتوي على 7097 كلمة)، الجزء الثاني، يريفان، 1982 (ويحتوي على 7123 كلمة).

10- «معجم الكلمات المستعملة في دراسات ومقالات وترجمات بارويr سيفاك »، ارداشيس بابويان، يريفان، 1986 (ويحتوي على 12384 كلمة).

11- «المصير الصعب لكتاب (ليحلّ النور) لبارويr سيفاك، وقضايا أخرىَ...»، خيكار بارسيخيان، يريفان، 1992 .

تمّ تحويل منزله الخاص في قريته إلى متحف يضم إلى جانب مخطوطاته وأدواته الخاصة، نماذج من كتبه، وكل ما كُتب عنه.

أعماله الشعرية:

بدأ سيفاك كتابة الشعر في عمر مبكر جداً، إذ يذكر في مذكراته أنه بدأ بقرض الشعر وهو في الحادية عشرة من عمره.

طبع ديوانه الأول عام 1948 بعنوان «الخالدون يأمرون». إن الإطار العام لقصائد هذا الديوان هو الحرب العالمية الثانية وأثرها على نفسية الشاعر الشاب، إذ أن عنوان الكتاب يشير إلى موضوعه نوعاً ما، والخالدون هنا هم شهداء الحرب وشهداء الوطن.

في ديوانه «درب الحب » (المطبوع عام 1954) لم يغب تأثير الحرب عليه بشكل نهائي، إذ نراه يكتب ذكرياته عن الحرب، وعن الشهداء، عن المشوهين والأرامل، وأيضاً عن الآثار النفسية التي نتجت عن الحرب، وكذلك يتكلم عن مستقبل السلام

البشرية والعالم في أيام الحرب الباردة، وإلى جانب كل هذا نراه يتغنّى بالحب والطبيعة والشباب.

من أحب الأنواع الأدبية لدى شاعرنا (الملحمة)، حيث قام بكتابة العديد منها، وكان أولها «صداقة غير مسالمة» (1953)، المأخوذة عن حياة القرية والتغيّرات الاجتماعية والنفسية التي جرت فيها، ثمّ كتب ثلاث ملاحم، هي «ياحبي المتأخر» (1956)، و «نشيد الأناشيد» (1960) و «تقهقر بالأغنية» (1961). إن الحب هو العامل المشترك والأهم بين هذه الأعمال الثلاثة.

في هذه الأعمال يرسم لنا لحظات الحب بكل تفاصيلها من نشوة اللقاء، وألم الفراق، وذكريات الماضي إلى أمل المستقبل.

تعتبر ملحمة «قبة الجرس الذي يقرع دائماً»(1959) قمة أعماله الملحمية.

أخذت هذه الملحمة موضوعها من تاريخ المجازر الأرمنية الكبرى عام 1915 .فهي تتكلم عن حياة وأعمال الموسيقار الكبير الراهب كوميداس بأسلوب أدبي شيّق وجميل.

يصف لنا الشاعر حياة كوميداس عندما كان طفلاً يتيماً، ومن ثمّ سفره إلى أرمينيا الشرقية للالتحاق بالدير، ثمّ إلى برلين من أجل الاختصاص بالموسيقى وعودته إلى الوطن وعمله في مجال تدوين الأغاني الشعبية الأرمنية وتلحينها، وكذلك يصف لنا علاقاته مع الفلاحين والعمال وعاداتهم وأغانيهم ومن ثم.. أهوال المجازر، إذ استطاع الأتراك العثمانيون، وخلال فترة وجيزة، تحويل أرمينيا الغربية إلى خراب كامل وقتل شعبها وإجباره على الهجرة.

في هذه الملحمة نرى شخصية كوميداس ملتحمة بمصير شعبه ووطنه، لأن كوميداس هو رمز من رموز أرمينيا التي تفتخر به دائماً كواحد من أعظم أبنائها، وقد استطاع الشاعر هنا أن يمزج كوميداس بشعبه وأن يصف آلام وأحلام شعبه من خلاله. إننا نرى هنا حياتين ومصيرين يسيران معاً من بداية الملحمة إلى آخرها.

تنتهي الملحمة بإيمان قوي وبتفاؤل مشرق بمستقبل الشعب الأرمني وبقائه.

من خصائص هذه الملحمة أيضاً الالتحام القوي بين التاريخ والفن، بين الحقيقة والخيال، ولا عجب إذا قلنا بأن سيفاك بملحمته هذه رفع من شأن ومكانة الملحمة التاريخية في الأدب الأرمني إلى المستوى الراقي.

لم تكن هذه الملحمة هي الملحمة الوطنية الوحيدة لسيفاك، إذ أنه بعد طبع كتاب «قبة الجرس الذي يقرع دائماً» بست سنوات، طبع ملحمة وطنية عظيمة أخرى، ألا وهي «قداس بثلاثة أصوات»، وهي من أقوى وأنجح أعماله الأدبية. لم تكن هذه الملحمة وصفاً وتأريخاً لأول مجزرة حدثت في القرن العشرين فحسب، بل هي صرخة شعب في وجه العدالة والبشرية، في وجه القوانين والأنظمة، وهي في الوقت ذاته نداء صارخ موجه إلى شعبه، نداء للعمل والحياة، نداء للنهضة والبناء، إذ أنه يرى أن بناء وطن قوي ودولة عصرية هما أفضل طريقة للثأر والعقاب.

لا نستطيع أن ننهي كلامنا عن ملاحم سيفاك دون ذكر عمل ملحمي جميل آخر، له مكانته المميزة بين أعماله، وهو

بعنوان «ثمة رجل اسمه ماشدوتس» (ماشدوتس هو مبتكر الأبجدية الأرمنية ومؤسس الأدب الأرمني في بداية القرن الخامس). في هذه الملحمة يرسم لنا الشاعر الوجه المشرق لهذا العملاق، والدور الكبير الذي لعبه في تاريخ الحضارة الأرمنية، إذ أنه استطاع باكتشافه الأبجدية أن يحمي الشعب الأرمني من التيارات السياسية والثقافية الغريبة التي تحيط به، كي يحافظ على هويته الوطنية والقومية.

في عام 1963 طبع سيفاك ديواناً جديداً بعنوان «الإنسان في راحة الكف».

يعتبر هذا الديوان من الظواهر النادرة في تاريخ الشعر الأرمني، إذ استطاع أن يخرج عن المواضيع الكلاسيكية ويفتح آفاقاً جديدة أمام الشعر بمواضيعه الفلسفية وبالحلول الشيقة التي يقدمها.

نراه في هذا الديوان – كما يظهر لنا ذلك من عنوانه – يأخذ الإنسان في راحة كفه، يفتح قشرة روحه طبقة طبقة ويتعرف على خباياها وأسرارها، يتعرف على نفسية الإنسان المتناقضة والمتشابكة.

إن عناوين القصائد بحد ذاتها كافية لتكوين فكرة عامة عن محتوى الكتاب: «إنني أعترف» ، «إنني أريد» ، «إنني أزعم»، «لا احترم» ، «إنني أجادل» و «إنني أعزّي». نراه يكتب عن كل هذه الحالات النفسية بلغة المخاطب، ولكن القارىء يجد نفسه في كل سطر من سطور هذه القصائد وكأنه هو الذي كتبه. لنرى ما الذي يريده شاعرنا:

إنني أريد أن يُملأ الفراغ بالبكاء
ولكن ليس ببكاء الأم، بل ببكاء الطفل.
إنني أريد أن لا يموت البجع
بل أن يحيا البجع... بالغناء.
إنني أريد أن يهطل المطر بغزارة على الزرع
وأن لا يهطل عبثاً على منتصف البحر.
... برأيكم ، هل أنا أطلب المستحيل؟
إذاً، فلتلد النساء بلا أوجاع المخاض
ولتحارب الدول، بدون بحر من الدماء.

إلى جانب كل هذه المطالب، والتي يبدو بعضها غير منطقي نوعاً ما، نراه في هذا الديوان إنساناً ومواطناً يحترم ويعبد النظام والقانون ويعادي كل من يخالف ذلك.

إنني أكره الثلج
إذا هطل في منتصف الصيف...

إنه يخاطب القارىء بصدق كبير ويفتح خبايا قلبه كلها أمامه دون خوف ولا قناع.

ومرة أخرى لا أحترم الذين:
يختبئون في زاوية عفنة فاترة
بينما كان بوسعهم البقاء في الهواء الطلق
ولو كانوا سيحتملون البرد قليلاً.
(أنا أيضاً ألتجىء أحياناً
إلى هناك...)
الذين يبقون في الظلام

عندما كان بوسعهم أن يظلّوا نيّرين إلى الأبد
(أنا أيضاً يحتضنني الظلام أحياناً...)

يدهشنا هذا الكتاب بصوره الشعرية الرائعة وبخيال الشاعر الواسع وبقدرته على خلق متناقضات جميلة بين المظاهر المختلفة:

بإمكاني أن أزعم:
أن هذا النوم يقظة،
وأن تلك الخسارة الأليمة
انتصار عظيم لم يُرَ مثله،
وأن هذه الإجاصة.. إبريق كبير،
وأن هذا التشييع.. هو احتفال سعيد،
وأن هذا الجبل.. حفرة كبيرة مقلوبة،
وأن إصبعي
المسمّى بالخنصر
قلم صغير.

بعد هذا الكتاب طبع سيفاك ديوانه الأخير وسمّاه «ليحلّ النور» (1969).

في هذا الكتاب نراه يمدح ويمجّد النور، وفي عالم النور وحده يجد الإنسان متحرراً من براثن الظلام والكذب والنفاق والحياة بوجوه مقنعة. إنه يكتب عن المستقبل ويؤمن إيماناً كاملاً بمستقبل الإنسان. فهو رسول الطيبة والإصلاح والداعي إلى الحقيقة.

إنني أخلق الآن عالماً جديداً...
والذي إن لم يكن من أجلكم جميعاً
فهو الآن من أجلي فقط،

كي أجرّبه بدقّة
على نفسي أولاً كطبيب،
وإذا كانت النتيجة إيجابية هذه المرة،
سأسلمه لكم أيضاً مطمئنّاً
لتعيشوا هناك حياة تليق بالإنسان.

ولكن ما هو الشيء الذي يريد أن يراه شاعرنا في هذا العالم الجديد؟

إنه قبل كل شيء يريد رؤية الحياة والعالم على حقيقتهما، دون أقنعة ودون أكاذيب. إنه يحارب أصحاب الأقنعة، يضطهدهم، يحاكمهم ويدينهم. إنه لا يريد أن تتحول الحياة إلى حفلة للأقنعة. حيث ستحول الأقنعة بين الإنسان والحقيقة.

هل تسمعونني ؟
يكفيكم،
انزعوا أقنعتكم،
انزعوها،
لكي يصفع الهواء المشتاق إليكم
بأيدي الريح
وجوهكم الحقيقية الحقيرة.
هذه الوجوه التي على صورتها المعروفة
خلقت الآلهة
(لا تنسوا هذا، لا تنسوه...).

ولكن سيفاك لا يكتفي بالأمر والتهديد، بل يظهر قلقه من أن تطول حفلة الأقنعة هذه، بحيث يصعب بعد ذلك خلق العالم

الجديد الذي يريده للإنسان.

إن استيقاظكم حينئذٍ
أشبه بانفجار،
وبعد ذلك
سيتصارع السكوت والغبار
من أجل السيطرة على عرش الفراغ.

لم يكن القناع الخصم الوحيد للشاعر. فهناك الآلات الحاسبة والدقيقة التي بدأت منذ منتصف القرن العشرين، بالسيطرة على العالم وعلى عقول الناس . فالآلات هي التي تتحكم في حياة البشر، هي التي تحسب وتقرر، تعمل وتأمر،بل وحتى... تكتب الشعر. أمام عظمة وهيمنة الآلات يصغر الإنسان يوماً بعد يوم، وتكبر الآلات. وهنا يظهر السؤال الآتي: من الأذكى، الإنسان أم الآلة ؟ أما زال الإنسان يحافظ على سيطرته أم أن الآلة استطاعت السيطرة على الكون ؟ خاصة أن الإنسان لم يعد يستطيع فعل ما تفعله الآلة.

ففي قصيدته «اقتراح إلى جميع الآلات الحاسبة والدقيقة في العالم»، نراه في وضع سخرية واستهزاء كبيرين من الآلات. فالآلة، مهما عظمت لن تستطيع أبداً أن تقيس مقدار الدم الذي «يتدفق من قلب الفتاة إلى خديها الخجولين»، ولا أن تعرف «ممَّ يضحك الإنسان ؟» ولن تستطيع أن تحدد التاريخ التقريبي«عندما ستبعث الأمم المجروحة أخيراً إلى الحياة أو تشفى من جراحاتها»، ولن تستطيع كذلك تحديد عدد أخيلتنا وأحلامنا وشكوكنا ويأسنا. بعد كل هذا يطلب سيفاك من الآلات الحاسبة مستهزءاً

أن تحسب:

إنه بعد تحطيم كم طناً من الذرة
سيمكن شق لب كرتنا الأرضية بسهولة ؟
إلى أن يصل إلى طلبه الأخير والأهم:
احسبي أيضاً، وللمرة الأخيرة:
بأي شكل
وبالمساعدة الخيرة لأية آلة
لا يزال من الممكن حفظ الإنسان إنساناً؟
أو من جديد فقط
يمكن تحويل الإنسان إلى إنسان...

عندما ييأس سيفاك من المدنية الحديثة ويدير ظهره لها، نراه يوجه أنظاره إلى أرباب الفكر، إلى الشعراء، إلى الذين أصيبوا «بداء الإشعاع». ولا عجب إذا سمّى الفصل الذي يجمع فيه هذه القصائد من الكتاب بـ«أمين سر الله» – وهؤلاء هم الشعراء وأرباب الفكر طبعاً. والشعراء هنا هم شعراء ملتزمون بقضايا الناس والمجتمع وقلقون على حاضر الإنسانية ومستقبلها.

إن داء الإشعاع الذي يتكلم عنه الشاعر لم يكن وليد القرن العشرين، بل إن عمره «على الأقل، ثمانية آلاف وثمان مئة سنة»، وبعد أن يؤكد أن الإغريق والهنود القدماء وكذلك هوميروس وشكسبير كانوا ممن يحملون هذا الداء يضيف:

إن العدوى بهذا المرض لا تنتقل بين الناس
بل يولدون من أمهاتهم وهم مصابون به.

أما في قصيدته «نشيد منتصف القرن»، فنراه يرسم لنا الدرب

الصعب الذي سار عليه هو وأمثاله، ويتكلم بفخر واعتزاز عن معاناة جيله. فأعداؤهم كانوا يحرقونهم في النار، يرجمونهم بالحجارة، «يقتلونهم ببطء بغرس أوتاد في أجسادهم»، يبترون أيديهم، يقطعون ألسنتهم، ولكن، ماذا كان ردّ فعل «أمثاله» أمام هذه التصرفات ؟

رغم كل ذلك فقد استطاع أمثالنا
أن يحفظوا شرفهم طاهراً
وضميرهم ناصع البياض كالملح،
لأنهم يفضلون فقدان رؤوسهم
على أن ينحنوا أمام أولئك الذين
يجدّون في سكّ دماغ الإنسان
كما تسكّ النقود،
أو طبع الأفكار مثلما يطبع القماش.

وفاته:

توفي سيفاك وزوجته نيللي بحادث سيارة أليم في 17 حزيران عام 1971 ، عندما كان مسافراً مع زوجته وولديه من مسقط رأسه إلى يريفان.

مات بعد أن قطع الطرق الجبلية الصعبة ووصل إلى السهل، إلى الطريق المستقيم، في مكان يندر أن يحدث فيه حادث سير. أليس هو القائل؟

آه، يا للعجب، قطعت البحار
وفجأة... غرقت في الساقية.

في مكان الحادث شيّد نصب تذكاري صغير، كتب عليه:

«ليحلّ النور، ولكن... حلّ الظلام».

مات سيفاك وهو في قمة الإبداع الأدبي، مات وحزن على موته شعب أرمينيا بكامله، حزن على موته المهجر الأرمني وكل من قرأ شعره، وحزن كذلك الوطن. كان يخاطب وطنه قبل سنوات من موته قائلاً:

إن نصف الحياة هو الموت بشرف.
آه، ليتني أموت، بحيث،
بحيث... تحزن عليّ.

ومن المفارقات العجيبة أن سيفاك كان يشعر بدنو أجله منذ فترة بعيدة، حتى إننا نراه في أعماله– وحتى في أعماله المبكرة – يتطرق كثيراً إلى موضوع الموت بأشكاله المختلفة – الموت المفاجىء ، الموت السعيد، الموت الطبيعي...

إنني أتحول ثانية إلى إنسان بسيط
وأومن بالعدالة،
ويخيّل لي بأنني سأموت
سأموت ميتتي الطبيعية...

وقال أيضاً:

ولكي يموت الإنسان موتاً طبيعياً
يجب أن يكون محظوظاً.

وقال، وكأنه يتنبأ بما سيحدث له:

هل من حاجة للدفن؟
فليدفن الابن أمّه العجوز
بدلاً من أن تدفن الأمّ

ابنها الشاب.

كل هذا عن الموت، وغيره الكثير الكثير، وفي بعضه تنبّؤ بما سيحدث له، ولكن كم هو صحيح كلامه عندما يتكلم عن موت الشعراء والعظماء ومصيرهم.

إنهم يعيشون حياة صعبة
ويموتون ميتة سهلة.

ولكنه كان يعرف أيضاً بأنه من أولئك الذين سيعيشون بعد الموت أيضاً، سيعيشون في ذاكرة الشعب وضميره، بل سيتحولون إلى ضمير الشعب بالذات.

وسيأتي يوم
يعبد فيه الناس أمثالنا أيضاً،
ولكن ليس كما تُعبد الأصنام
وليس كما يعبد الله،
بل... كما يعبد الأبطال.

هل بالغ الشاعر في كلامه ؟ أو هل أخطأ ؟
هذا ما سيقرره القارىء بعد قراءة هذا الكتاب.

م.م

السلام

- سلام -

أقول هذه الكلمة الوحيدة،
مثلما يبرز رجل هويته المختومة،
مثلما تُسرد سيرة حياة،
مثلما يُملئ رجل استمارته.

وكنت أرغب،
أرغب كثيراً،
في أن تصبح هذه الكلمة
هوية في العالم أجمع
ولكل الناس.

وكنت أرغب
أرغب كثيراً،
في أن تصبح كذلك هذه الكلمة:
«افتح يا سمسم» جديدة وحقيقية.

كنت تقول:
- سلام -
للقاطرة،
للسفينة أو للطائرة
وتدخل إلى الداخل
وسلامك يقبل مثل التذكرة.

كنت تقول:
- سلام -
للمرأة الغريبة
فتحبك منذ تلك اللحظة،
أو تجيبك بابتسامة تسترحمك فيها
لأن غيرك كان قد سلّم عليها قبلك.

كنت تقول:
- سلام -
وفجأة تمطر السماء الصافية
إذا كان ذلك ضرورياً.

كنت تقول:
- سلام -
للتربة الساكنة، وبعد ذلك
تتبرعم وتمتلىء بالسنابل.

كنت تقول:
- سلام -
حتى للموت
وهو يفهم، بأنه في مجيئه إليك
قد استعجل،
استعجل كثيراً.

ويصبح السلام «افتح يا سمسم» جديدة وحقيقية.

وعندئذ لو قلت «سلام» حتى للدب
فلربما في تلك اللحظة
يصبح لعبة لطفلنا،
لعبة جيدة، بحيث لا تعبأ
ولا تتلف من أي شيء يصيبها.
وهكذا تصبح الأفعى عصا في يد الشيوخ،
والتمساح خزانة للألعاب
والوعل البري مشجباً
والعاصفة فرقة راقصة على المسرح
والإنسان...
إنساناً حقيقياً.
لا يوجد شيء مستحيل في العالم
إذا كان يحكمه الخير الذي في أفواهنا
وقد تحوّل إلى:

- سلام .

إذاً،
مثلما يبرز رجل هويته،
مثلما تُسرد سيرة حياة،
مثلما يملئ رجل استمارته:

- سلام

عليك
وعليكم
يا أحبائي الذين أعرفهم
والذين لا أعرفهم.

ليصبح المستحيل مستطاعاً
في كل العالم
ولنا جميعاً،
ليصبح مستطاعاً غداً، بل وفي هذه اللحظة
ليصبح مستطاعاً بكلمة واحدة:

- سلام...

صلاة الأيام الجديدة

هذا، ومنذ 10 سنوات، منذ 110 سنوات، منذ 1010 سنوات
وأنا خائف،
خائف كثيراً
من المتزمتين والتابعين ،
من المنافقين والمرائين،
إن كنتم آلهة
فاطفئوا كلَّ شموعهم،
اخمدوا كل قناديلهم
واطفئوا جميع مشاعلهم
ليحلّ النور...
ولا تقبلوا قرابينهم
في أيّ معبد
لأنّ تلك القرابين ليست لهم
بل هي مسروقة.
وارفضوا ذبيحتهم الموعودة
لكي لا يذهب الإيمان ذاته ضحية

ذلك الإيمان النقي – السامي،
الصافي – الصادق.
وإن كنتم آلهة
اغلقوا آذانكم أيضاً بقوة
أمام صلواتهم الزاحفة.
أمام تلك الصلوات المحفوظة والملقنة
التي يخدعونكم بها
ولا يخدعون أنفسهم.
كفى، افهموا أخيراً:
بأن الذين يشتمون الله
هم أعلى مرتبة
لأن الإيمان ذاته هو الذي أغضبهم،
ذلك الإيمان المجروح والملطخ بالدماء،
الإيمان المحترق والمصفوع،
المتألم والصارخ،
الذي ولد ليكون أباً،
إن كنتم آباءً
لا تدعوا
المؤمنين الكاذبين يقتلونه.
فمهما كان دفن الطفل صعباً
فتربيته أصعب بكثير...

صباح النور *

صباح النور،
صباح صافٍ،
صافٍ مثل... اللا شيء،
صافٍ، ولكنه ما زال بارداً.

وأنا بدون تأخير
أعزل نفسي
عن العالم المعروف،
وأفرغها،
وأحوّلها إلى وعاء فارغ
وخال حتى من الهواء.
إنني أخلق الآن عالماً جديداً...
والذي إن لم يكن من أجلكم جميعاً
فهو الآن من أجلي فقط،
كي أجرّبه بدقّة
عليّ نفسي أولاً كطبيب،

وإذا كانت النتيجة إيجابية هذه المرة،
سأسلمه لكم أيضاً مطمئناً
لتعيشوا هناك حياة تليق بالإنسان.

إنني لا أتوهم،
وكلي آمال:
في هذا العالم الجديد وغير الشرعي إلى الآن،
لم أعد أنشغل ولن أنشغل
بالتدقيق عبثاً في أخطاء الأعمال غير الموجودة أصلاً،
ولن أضع آمالاً على الأحلام بسذاجة،
ولن أشتري شيئاً مزوراً بنقود مزوّرة
ومن خيبة أملي، وبتصميم
لن أنام نوماً أبدياً وكأنني ميت.

أنا الآن يقظ
ولكنني لم أغتسل بعد
بقليل من ماء الثلج الذائب.....
إنني سأرطب وجهي أولاً، وجه المريض،
ومن ثم وجه كل أنواع المرضى
وليس هناك فرق إذا كان المريض هو الإنسان
أو العالم، أو الإيمان.
إنني سأرطب وجه هؤلاء جميعاً،
وسأترك أثر أصابعي الشافية

على الأجفان التي ما زالت مغلقة،
على الشفاه التي ما زالت مقفلة،
وعلى الوجوه التي ما زالت ناعسة.

وفي داخلكم
في داخلكم جميعاً بدون تمييز،
أجد شيئاً حبيباً عليّ،
أجد شيئاً يستحق الحب،
والذي خلق
ربما في ذلك الزمان
عندما فقدنا فيه، وللأبد،
اثنتين من أرجلنا الأربعة....

ومن العلو السامي لعدم الغفران
أتدحرج إلى الأسفل... كحجر،
كي أصل إلى ذلك السفح الناعم
والذي على مقربة منه
يعيش المستنقع
حياته الأبدية،
وبلغة الحجر أقول: «ألف باء»،
أي: «الشمس»
أو: «ليحلّ النور»...

ينبوع النور

إذا كان النور يولد دائماً من تكثّف الظلام،
فهل مضغنا قليلاً من الظلام في حياتنا
عوضاً عن الخبز؟
وهل استغرقنا في نومنا الكابوسي قليلاً
ملتحفين بالغطاء الشعري للظلام
عوضاً عن اللحاف؟

رقّع الظلام حتى عيوننا بدون إبرة،
ومزج لونه بدمنا أيضاً،
بدمنا الأحمر....
بدمنا الذي يسودّ دائماً عند التخثّر،
وبالدم المتخثر يزداد السواد
أي يزداد الظلام...

كأن كل شجرة
وكل شجيرة وكل عشبة

تهتز لكي تبدد الظلام.
باهتزازاتها هذه
لا تبدد الظلام وحده
بل تزيده ظلمة
بظلها.....

إنّ المولودين عمياناً صالحون بلا حدود
ولكن الإنسان الشرير وحده
يستطيع أن يعتقد
بأن العميان يصلون دائماً
لكي تتسع مملكتهم
وتتوج الظلام،
ذلك الظلام...
ذلك الحقيقي بين الحقائق
والحاكم الكبير بين الحكام...

الحقيقة، إن ماضينا مظلم
- لأننا نعرف الماضي من الكتب -
وحاضرنا مظلم أكثر
والكتب أيضاً
هي التي ستعرّفنا على المستقبل.

الظلام من الأمام- الظلام من الخلف

ونحن محصورون في الفاصل الضيّق للظلامين
ماذا بقي لنا كي نفعله؟ بل ما الذي سنفعله ؟
سنحاصر من اليمين واليسار،
سنحاصر بلا نهاية- سنتكثّف بلا نهاية
ولكننا لن نتحوّل إلى أغبياء بحيث نقتنع
بأنه إذا كان من تكثّف الظلام يولد النور دائماً
فإنه سيولد تلقائياً
مثلما ولد يسوع من العذراء
وحتى بدون.... «ليحلّ النور»...

أشعلوا الأضواء

يجبرنا الظلام على أن نحلم
ولكننا لا نرغب ذلك.

إننا نريد
شدّ الحبل الطويل – الطويل للحلم الكاذب،
(مثلما يشدّ الأطفال
حبل المنطاد الطويل).
إننا نريد أن نشدّ الحبل
لكي نجلب الحلم الكاذب إلينا،
ونجلسه على ركبتينا
كالفتاة التي...
تمارس الحب.
ولكي ننظر في عيونه الشبقة والشهوانية
ونلمّح إليه كجدول ماء صاحب فقد صبره:
– قل كلامك، «نعم» أو «لا»...

ولكوننا لا نملك كل هذه الشجاعة

ولكوننا لسنا جداول صاخبة فقدت صبرها،
ولكوننا لن نجبر الفتاة التي تمارس الحب
كي تجلس على ركبتينا،
ولكون الأطفال هم الذين يملكون منطاداً
بحبل طويل وليس نحن،
ولكون الظلام يجبرنا على أن نحلم
ونحن لا نرغب بذلك،
- هيا إذاً، وبسرعة، أشعلوا الأضواء كلها....

ذو العين الواحدة

إنني أنظر إلى الحياة بعين واحدة
(عيني الثانية من الزجاج)
وبعيني الوحيدة هذه
أرى كثيراً،
وبالثانية أرى أكثر،
لأنني
بعيني السليمة أرى
وبعيني العمياء ... دائماً أحلم ...

صانع الألعاب

كان بإمكاني أن أكون في كل مكان،
وفي كل مكان كان بوسعي أن أصرخ:
«لا أريد» أو «أريد».
ولكنني لم أكن في كل مكان
ولم أكن الآن.
وأينما وجدت
أقول لنفسي: «لا تقل».
أقول لنفسي: « لا تقل»،
والذي لا أقوله أتركه للآخرين
لكي يلمسوه ويتفحصوه بعد ذلك
وبعد أن يعلموا
ما الذي لمسوه وتفحصوه ؟
لم أعد أستطيع السكوت
وأقول:
– هل تعلمون ؟
لقد قررت أن أكون صانع ألعاب،

وثقوا، سأكون كذلك حقاً...

تتمايل الأشجار من الريح الخريفي البارد،
مثلما تتحرك الأفكار المنوّعة
في رأس الإنسان.
ومن السماء الصباحي الغائم
تتساقط إلى الأسفل
القوالب الباردة للنجوم
والتي - وباختصار - تسمّى «الورقة».
إنني سأسكب ألعاباً من تلك القوالب الباردة،
وإذا سألني أحد: « ما قيمة هذه الألعاب ؟»
سأقول لنفسي بصمت: «لا تقل »،
ولكن كجواب لسؤال السائل
سأقول: «سلام».
ولا أعلم ما الذي سيقولونه عني بعد ذلك ؟
ولكنني في تلك اللحظة
لا أستطيع أن لا أتذكر
بأنه كانت هناك فتاة
وإن قلت بأنني قد نسيت اسمها
صدّقوني بقدر ما تصدقون
الجرائد المختلفة في العالم.
وكلّما رغبت في إعلان اسمها للعالم
أقول لنفسي: «لا تقل».

ولكن– هل تعلمون ؟ – تلك الفتاة
كانت تقول:
«عندما أستمع إلى بيتهوفن، يخيّل إليّ
بأنني أسير على البحر...».
إنني أملك أيضاً القالب الدقيق والساخن لتلك الفتاة،
وإنني سأسكب ألعاباً في ذلك القالب،
في ذلك القالب الساخن.

ومن يسألني: « ما قيمتها ؟»
سأقول لنفسي بصمت: «قل»
ثم أردد: «إنها شيء تافه،
إنها عبارة عن حياة ماضية».

وهكذا أستطيع أن أصنع كل شيء،
ولأمثالي أنا، يقول الناس
إنّ ابن الإنسان له يد من ذهب.

وكل مرة أنظر فيها إلى يديّ
تقول لي يداي: « ماذا ؟»
وهذا لم يكن سؤالاً أبداً
بل هو جواب لسؤالي الصامت،
ولكنني في كل مرة
حينما أنظر إلى يديّ
– مثلما ينظر عالم الآثار غير الخبير

إلى اللقى التي يكتشفها –
أقول: «نعم».
وهذا ليس جواباً، بل هو سؤال معكوس.
و... وتلوّح لي يداي،
وأمّا رأسي فيشير لي
وأفهم بأنني لن أستطيع
– ولن يستطيع أي إنسان في العالم–
أن أصنع شيئاً واحداً فقط،
وهو ما يسمّى: «بالحقيقة».
هذه فقط لا يمكن صنعها،
بالرغم من أنهم
يحاولون ذلك منذ قرون،
يحاولون صنعها
باسم الله،
بأوامر الحكام
وبالحبل الذي
يبرهن على متانته فقط
عندما يلتف
على أعناق الناس...
وبالسلاح الذي
يعلّمنا علامات التنقيط
على صدور البشر.
إنهم يصنعونها هكذا

منذ قرون عديدة....
يصنعونها بشكل دائم،
الشيء الذي لا يصنع،
وبالتالي... لا يهدم.
إنهم يصنعونها
ولكن ما الذي ينقصني عن الآخرين؟
إنه شيء مقرر الآن:
أنا أيضاً سأصنع الحقيقة
بعد الآن،
وسأصنعها بكثرة...

وسأبيعها،
سأبيعها في كل مكان،
سمحوا لي بذلك أو لم يسمحوا،
سأبيعها على مفترق الطرقات
وأمام أبواب الحوانيت،
على الأرصفة
وعلى قواعد التماثيل،
سأبيعها في الكتب
وفي المنابر،
وإذا سألني الناس: « ما قيمتها ؟»
لن أجيبهم أنا،
بل ستجيبهم تلك اللعبة – تلك الفتاة،

والتي لن تقول شيئاً
سوى سعرها:
«إنه شيء تافه،
إنه يساوي فقط... حياة ماضية... ».

وأنا– وأنتم أيضاً تعرفون ذلك –
سوف أكسب كثيراً من تجارتي،
سوف أكسب، بحيث
سأشتري بطاقة
وسأذهب لسماع بيتهوفن،
وسيخيّل لي
أنني أسير على البحر...
وفي تلك اللحظة
ماذا يهمّني
إذا كان ربيع أو خريف في الخارج ؟
أليس الأمر نفسه؟
وماذا يهمّني أنا
إذا كانت الرياح ستحرّك الأشجار أم لا ؟
مثلما تتحرك الأفكار المتنوعة
في رأس الإنسان.
ومن السماء الغائمة أو الساطعة
أعجباً ستهبط أو لن تهبط ؟
قوالب باردة للنجوم الملوّنة

والتي، وباختصار، تسمّى «الورقة...».

وعند الذهاب إلى البيت
إذا قال لي أحد فجأة: «سلام»،
كجواب له سأرد: «ما قيمته ؟» .
وإن ضحكت بعض الفتيات من جوابي هذا،
واللواتي لا أعرف أسماءهن حقاً،
كجواب لهن سأقول:
«أنا لا أملك قالبكن ».

وستتجمعن حولي،
وسترعبن معرفة هويتي.
إن الناس يريدون دوماً أن يكلّموا الذين
يحسبونهم حمقاء.
وستقول لي يداي من جديد: « لا تقل »،
وأنا أيضاً، أنا أيضاً سأقول لنفسي: «لا تقل»،
ولكن صانع الألعاب الماهر
سيردّد بفمي، بفمي أنا،
وسيصرُخ ويكرّر
بنغمات البائع الجوال:
« إنني أبيع حقيقة، حقيقة مصطنعة....».

رئيس حفلة الأقنعة

هل تسمعونني؟
يكفيكم،
انزعوا أقنعتكم،
انزعوها،
لكي يصفع الهواء المشتاق إليكم
بأيدي الريح
وجوهكم الحقيقية الحقيرة.
وليثقب شعاع الشمس النافذ
كوخز الإبرة
وجوهكم الخاملة والبائسة،
هذه الوجوه التي على صورتها المعروفة
خلقت الآلهة
(لا تنسوا هذا، لا تنسوه...).

يكفيكم
اخجلوا من الآلهة

وانزعوا أقنعتكم.

أنا لا أستطيع الإشارة إلى التاريخ المعين
والزمن الصحيح لبدء هذه الحفلة،
ولكن مع ذلك، فهذه الحفلة
التي بدأت منذ زمن قديم
ها قد أوشكت على النهاية...

إن ذلك الفراغ الأخلاقي
الذي كان يتثاءب فينا
منذ القديم
دون شر أو ضرر،
إنه الآن يؤلمنا ويعذبنا
وهو يتحول إلى صرير دائم.
وها هو الغبار السام لذلك المنشار
الذي يعمل ليل نهار،
والذي يعمل ذاتياً ومستقلاً،
أصبح الآن يمطر على كل شيء
ويمتزج بكل شيء:
يمتزج بالخبز،
وبالأغنية
وبالفكر
وبالنفس.

وعاجلاً ستهب رائحة النشارة
من كل شيء:
ستهب من الخبز،
ومن الأغنية،
ومن الفكر
ومن النفس.

انزعوا أقنعتكم
لكي على الأقل
تتنفسوا بسهولة نوعاً ما ....

اعترفوا وقولوا
ألا يكفي
أن تسرقوا أنفسكم من أنفسكم ؟
وتضعوا عوضاً عنكم شخصاً آخر في مكانه.
ولكن الشمس تعشق النظام
فهي تظهر عندما يحين وقت شروقها.
إن استيقاظكم حينئذٍ
أشبه بانفجار،
الحق أقول لكم:
أشبه بانفجار،
وبعد ذلك
سيتصارع السكوت والغبار

من أجل السيطرة على عرش الفراغ.

شيء ما ينتظر العالم
مثلما كانت سوسنّة[1] العارية
– وبدون إدراك –
تنتظر الشيوخ يوماً ما،
أما أنتم فتعالوا ولا تنتظروا
وانزعوا أقنعتكم،
وتعرفوا على أنفسكم
للمرة الأخيرة،
وقبل النهاية...

انتهى الرقص
والعرض المسرحي أوشك على النهاية،
فانزعوا أقنعتكم.
بعد كل لحظة تأخير
تتألم نفسي عوضاً عنكم،

---

(1) نسبة إلى سوسنّة المذكورة في نبوءة دانيال (في العهد القديم من الكتاب المقدس)، وكانت امرأة جميلة جداً ومتزوجة من رجل اسمه يوياقيم. حاول شيخان أن ينالا منها عندما كانت تغتسل في حديقة، ولكنها لم تتمثّل لأمرهما. فشهدا عليها بالزور وقالا إنها كانت مع شاب... فحكم الشعب عليها بالقتل، ولكن الحقيقة ظهرت بعد حين وهي في طريقها إلى القتل. فتمت تبرئتها وقتل الشيخان بدلاً عنها (المترجم).

لأنني قد كُلِّفت بتذكيركم ثانية
وللمرة الأخيرة،
بأن الاستيقاظ المتأخر
أشبه بالانفجار،
وبعد ذلك
سيتصارع السكوت والغبار
من أجل السيطرة على عرش الفراغ.

إنكم ما زلتم تسمعون
فأنصتوا إليّ أيضاً،
وانزعوا أقنعتكم
فالعرض المسرحي انتهى...

ولكن إن كنتم تصرّون على التمثيل
فمثّلوا، مثّلوا كما تشاؤون
مثّلوا لأنفسكم ومع بعضكم
ولكن... بدوني.
بعد الآن لن اشترك
ليس بالتمثيل فحسب
بل حتى بالنذور والقرابين
إذا كانت الذبيحة
هي الإنسانية والإنساني...
إنني

لن أحتجّ
لن أتوسّل
ولن أخدش حنجرتي بالصراخ.
لماذا ؟
أو من أجل من ؟
الآن...
الآن أسعى فقط كي... لا أكون،
وأن أتحوّل كليّاً إلى... قناع.

طبيعة الأشياء

القسم الأول :

وجه الأشياء واقنعتها

وجه الأشياء.
وجه الأشياء...

تعيش الأشياء حياة سريّة تماماً،
تعيش حياتها لنفسها
ولنفسها فقط.
أمّا من أجلنا
فهي تقوم بتمثيل دور مسرحي
ما دمنا ننظر إليها.
وعندما نكفّ عن النظر
ترفع أقنعتها

وتمدّ ألسنتها هازئة ساخرة بنا.
إنها ترفع أقنعتها مباشرة
وتنظر إلينا- صدّقوني في هذا - بوجوهها المتقلبة
ذات الأشكال المتعددة.
تنظر بوجوهها المعبّرة
والصريحة- الصريحة
كما الشجرة في جدلها مع الريح
كما النهر الجبلي،
كما المرأة الجميلة....

وجه الأشياء،
وجه الأشياء....

آه لو وجد سبيل أو وسيلة
لتصويرها في تلك اللحظات
التي ترفع فيها أقنعتها
وتظهر سافرة جليّة.
حبّذا لو تمّ لي تصويرها خفية
من زاوية ما
لأفاجئها.
تصويرها بعدسة في زر أو قلم،
تصويرها
مثلما يصوّرون نجماً سينمائياً خفية

وهو يتبادل عناقاً حاراً في ضوء النهار،
تصويرها
مثلما يصوّرون المخطىء
وهو يعانق أخطاءه،
تصويرها
مثلما يصوّرون القمر
من وجهه الثاني - وجهه المظلم...

آه من هذه الأشياء العديدة المقنعة بأقنعة مسرحية،
إنني على يقين وثقة
من أنها تخافني وتتجنبني وتخجل مني دائماً،
مثلما تفعل المرأة العارية أمام النظرة الغريبة المفاجئة.
إن الأشياء خلال سيرة حياتها تقوم بعمل واحد:
ترتدي قناعاً وتنزع قناعاً،
لكي لا أرى وجوهها مرة أخرى،
وأنا أدرك جيداً بأنها ترغب في موتي
لتعيش سافرة بدون قناع...

وعندما تتحقق رغباتها،
فإن بعضاً منها
(بإرادتها أو مرغمة، بفرح أو بحزن)
سترافق جنازتي،
وربما ستدفن معي

كما كانوا يفعلون في القرون الماضية،
يدفنون عاشقاً ومملوكاً وعبداً
مع سيده المتوفى.

أيّ الأشياء أقرب إلى قلبي،
ذات القناع أو تلك التي بدون قناع ؟
أحبّها حبّاً من بعد مماتي
أحبها، أحب عبيدي.

القسم الثاني :

طيبة الأشياء وشرّها

أتظنون أننا نحن الذين
نناجي أنفسنا على انفراد ؟
كلا،
حتى في نجوانا الصامتة
تحاورنا الأشياء باستمرار،
تلك الأشياء الطيبة
لأنها تشفق علينا.
وحينذاك
تحيا الأشياء وتنتعش
بحيث
لا نشعر بالعزلة في وحدتنا
ولا نحيا حياة بدائية.
إن الأشياء طيبة
وتشفق علينا،
تشفق على المنطوين المتوحدين.

في لحظات الوحدة تلك
لا نتناثر فيها في كل الجهات الأصلية
كالقطرة العمياء الساقطة من الأعلى

على بلاط الأرض،
بل نجتمع متراصين
ومتمركزين من اليسار واليمين،
بحيث نأخذ شكل ذلك الصليب البشري
الذي يصنعه الإنسان
حين يحاول الطيران أو السباحة.

ولكن أليس كل ما يفعله الإنسان
في وحدته
طيراناً أو سباحة؟
وفي وحدتك، إذا ما سبحت أو طرت
الأمر سيّان، فأنت لا تستطيع السكوت...

والصمت
الذي ما هو إلّا أذن واسعة
ولا يملك سوى حاسّة واحدة وهي السمع،
هذا الصمت ينتفخ وينتفخ دون توقف،
ينتفخ مثل بالون الأطفال
ينتفخ بالامتلاء- بالانتفاخ يمتلىء،
يمتلىء بأحاديثنا وبكلامنا غير المسموع
ورويداً رويداً يتحوّل إلى منطاد جبار،
لو أراد الارتفاع فجأة
لرفعنا ورفع بيتنا

إلى الأعالي
ثم مضى بعيداً....

ولكن الصمت
الذي ما هو إلّا أذن واسعة
ولا يملك سوى حاسة واحدة وهي السمع،
كلّما اتسع انعقد أكثر
حتى ليبدو
وكأنه وطن جديد لنا، وطن ثان،
وهو كالوطن يستحيل التنازل عنه للآخرين،
وهو كالوطن يستحيل نقله.

في العراء
يبدو أن النجوم تبدو وتعلو أسراباً،
فتحل من جديد
ليلة من ليالي الكتاب المقدس،
ليلة هادئة ومؤثرة،
لكي يتمتع بها كل من يملك القدرة،
هناك في العراء...
يبدو أن الأضواء الساطعة هنا وهناك
تحاول تقويض وقار الظلام العظيم،
هناك في العراء...
وما يهمّنا ما الذي يجري في العراء ؟

إننا الآن في الداخل وحيدون
ومع ذلك نبدو وكأننا لسنا وحيدين،
إن الأشياء الصالحة
تحيي وتبعث الروح لكل شيء من حولنا،
لكي نصل نحن أيضاً إلى مجدها ومكانتها،
إن كانت هي أشياء،
فنحن أيضاً، في ساعة الوحدة المرعبة
نتحوّل مثلها إلى أشياء.
نتحوّل مثلها إلى أشياء ...

القسم الثالث:

دعوى الأشياء وديونونتها

1

كلّنا قضاة بطريقة ما.
نحكم ونسيّر القضايا
في كل يوم
بل وفي كل ساعة.
إننا نحكم
بهزة رأس خفيفة،
بطرفة عين منّا،
بنظرتنا العابسة،
بتحريك حواجبنا، بهز أكتافنا
وبحركاتنا يمنة ويسرة.
تلك التي تسجل في الهواء
وتقرأ بشكل ليس بأسوأ
من أي نوع من أنواع الوثائق.

كلنا قضاة بشكل من الأشكال.

وأنا أيضاً من عداد هذه الجماعة،

أنا أيضاً قاض بطريقة ما،
لذا اليوم سأحاكم،
ولكنني هل سأحاكم الناس؟
كلا، أنا اليوم سأحاكم الأشياء
سأحاكمها وأدينها...

ها هو الكرسي،
له أسماء كثيرة،
(فكلمة العرش، مثلاً، استعملت كثيراً على مرّ القرون).
هو، كما تعلمون، دابة،
وبين الدواب
هو الأقوى من الجميع.
هو الأقوى
حتى من النمر والفيل،
ونحن أصبحنا كرماء
مع القط والكلب
قبلناه في بيوتنا
لكي يخدمنا،
مثلما خدمنا على مرّ القرون (ونحن نشكره على ذلك)
كل من الدواب: الثور والحصان والبغل
ونسيبهم الحمار.
ولكن هذه الدابة البائسة
المسماة بالكرسي

تجاوزت حدّها، إلى أن – وسامحوني على كلامي هذا–
إلى أن اعتبرتنا حميراً.
إن الكرسي– كما تعلمون – وجد
لكي نجلس عليه،
ولكن تبيّن لنا بأنه
هو الذي يجلس
على من يجلس عليه.
هذا الخادم الذي هو
ملزم بخدمتنا دائماً،
قد حوّلنا إلى خدم ذليلين له.
هذا الخادم قد تحوّل إلى سيد
سيحاكم كمتمرّد شرير
استناداً إلى المادة كذا من القانون كذا.

وبعد الآن:

أولاً:

عندما نقول: كرسي
يجب أن نفهم من ذلك «عدوى»
ونتجنبه
كما نتجنب العدوى،

ولـذا:

ثانياً:

يجب أن يبتعد عن الكرسي
كل من لم تحقنه الحياة بعد
بالمصل المضاد للأوبئة،
حيث تكلّف الجرعة الواحدة منه صاحبها سجناً،
أو تساوي فضيلة، بحيث
لا تخضع للعرض والطلب.

ومع ذلك

ثالثاً:

من جلس على كرسي
(أو إذا قلنا بتعبير آخر: من احتلّ كرسياً
أو تبوّأ منصباً عالياً)
هو ملزم بقوة القانون
أن يتذكر بأنه ذو قدمين
وبأنه من أسمى المخلوقات،
وفي كل الأحوال
ليس له الحق
بأن يتحوّل إلى دابة مرّة أخرى
وخصوصاً إلى مملوك لدابة.
وإلّا:

فمن هذا المنبر نفسه
ومن هذا الفم نفسه
ستنطق المادة كذا من القانون كذا...

2

أحضروا الثاني.

كما ترون: هذه قبعة
أو إذا قلنا بتعبير أدق:
هي شكل من أشكال القبعات.
وأمّا هذه - انظروا إليها- إنها ثياب،
أو بتعبير أدق هي بزة،
هل رأيتم؟

هكذا إذاً:

من يلبس قبعة كهذه
مع ثياب كهذه
فإنه يكفّ حتى عن التفكير...
(وهناك خطأ صغير
عليّ أن أصححه أنا
قبل الاستماع إلى كلام محامي الدفاع.
في دفاعي هذا
ضعوا بأنفسكم، وحسب الحاجة
الألفاظ المعروفة في لغتنا
بـ«الحالات المخفّفة التقديرية»

والتي تعرف في الكتب المدرسية بـ« الألفاظ المعترضة»،
وهي «بعضهم... أكثرهم... غالباً....
أحياناً... للأسف...طبعاً... ليس دائماً... »
وما أشبه ذلك).

لنعد إلى عملنا:
هكذا إذاً:
من يلبس قبعة كهذه
مع ثياب كهذه
يكفّ عن التفكير.
ولكن - كما يقولون -
هل يزيدنا الكف عن التفكير فخراً ؟
وهل كل ما نفعله صواباً ؟
عندما نعوّد أنفسنا على البلادة
من أجل أن لا نقترف الخطأ فجأة...
أولاً:
إن التصرّف على هذا الشكل يعدّ استخفافاً كبيراً
بهيبة محكمتنا وبهيبة العدالة،
ماذا يحصل
عندما لا يخطئ أحد ؟
من سنحاكم إذاً ؟
إذا جرى الأمر هكذا
فأنتم إذاً ضد محكمتنا،

محكمتنا العادلة،
محكمتنا التي لا تشترى بالمال،
محكمتنا الوطنية
محكمتنا الشعبية.
لأننا
لا نستطيع العيش بدون أخطاء
مثلما لا يستطيع موظف المرور
الحياة من دون حوادث السير،
وبائع الأزهار.. دون موتى
ومثل كل تاجر
دون احتكار السوق.
والكثيرون - الكثيرون لا يستطيعون العيش
بدون هذه الثياب
وبدون هذه القبعة
التي كأنها قبعة سحرية
إن وضعتها على رأسك
ستكفّ عن التفكير،
لأن القبعة حينها هي التي ستفكّر
بدلاً من رأسك.
وعندها ماذا ستكون النتيجة ؟
أيمكن العيش في العالم
دون رأس ؟
بقبعة فقط ؟

هذا لا يجوز يا أصدقائي، حقاً لا يجوز.

ماذا يريد أن يقول ؟
نحن. نخدم القانون والحق
نعبد القانون ؟
نعم
ولكنني.... سأقول لكم رسمياً
بأن القانون العادل لا يستبيح
بعض الأشخاص والأفراد فقط
بل يستبيح شعوباً بكاملها.
ولو أردنا التعبير عن هذا الأمر بصيغة أخرى
فالاستثناء هو الذي يزعزع العدالة.
ومنه
تولد عدالتنا الفتية.
وإلّا، فهل تعرفون ماذا يحصل؟
عندما نكون يقظين يكون ضميرنا نائماً
وعندما يستيقظ ضميرنا نكون نحن نائمين...
ما علينا، لنعد إلى متابعة دعوانا
التي لم تنته بعد،
هكذا إذاً:
العيش ممكن بدون قبعة
ولكنه مستحيل بدون رأس،
فلذا

نحن الذين كنا نحاكم الرؤوس دائماً،
سنحاكم اليوم قبعة أيضاً،
استناداً إلى الفقرة كذا من البند كذا
من القانون كذا (الذي لم يدوّن بعد).

آ- بعد الآن، كل من يلبس بزّة
قبل أن يضع قبعته
يجب أن يردّد هذه الكلمات
على عجل، وليس كمن يصلي:
«لأرمينّ قبعتي - كي أحمي رأسي
لأرمينّ قبعتي - كي أحمي رأسي».
وإذا ما أخطأ فجأة وقال:
«لأرمينّ رأسي- كي أحمي قبعتي»
يمكنه عندئذ أن يمكث في بيته،
ولا يبرحه حتى ولو إلى عمله
وسيُعتبر ذلك
غياباً مبرراً جداً.

ب - منع الألبسة المدرسية منعاً باتّاً.

من بقي بعد هذا اليوم ؟
أحضروه.

3

ها هي، هل ترونها ؟
إنها ورقة مستطيلة
نسميها الصحيفة
أو الجريدة.
إنها تنبئنا بأخبار مفرحة ومحزنة،
تنشر خطباً كثيرة،
وبعض الحوادث.
إعلانات وتأبينات.
نبوءات عن حالة الطقس المتوقعة غداً
في أسفل الصفحة الأخيرة
فوق اسم رئيس التحرير.
وهذه بداية الاتهام فحسب
وقبل الشروع في تعداد
جرائره الكثيرة
أعلن عن استراحة، حتى...

عفواً، لحظة من فضلكم
قبل الإعلان عن الاستراحة
أعتبر من واجبي الأخلاقي
أن أقول كلمتين يقتضيهما الموقف
موجّهاً كلامي إليكم أولاً

أيّها المستشارون الشرفاء.
إن الأشياء التي هي من صنعنا
لها الحق في أن تحكم
لكن ليس علينا نحن...
إننا اليوم نحاكم بعضها فقط
وبهذه الطريقة نحاكمها جميعاً
حتى تفهم
بأن الأشياء التي هي من صنعنا
لا يحق لها أن تحكم
علينا نحن على الأقل.
إن القانون الذي
هو أيضاً من صنعنا
لو كان «شيئاً»
كنا حاكمناه هو أيضاً،
إننا ننذره:
فليحذر
من أن يتحوّل إلى شيء جامد
أي ألّا يجرؤ على
التحوّل إلى... شيء...

اقتراح إلى جميع الآلات الحاسبة والدقيقة في العالم

إنك تحسبين .... تحسبين...

احسبي إذاً:
بأية موجة، وخلال كم دقيقة،
وكم غراماً من الدم يتدفق من قلب الفتاة
إلى خديها الخجولين،
وهو يحمل ذلك الاحتراق المقدس؟
ذلك الذي كنا ندعوه حتى أيامنا هذه، وبسذاجة: الاحمرار.
وما نوع تيار الأشعة الكونية
الذي يتدفق من عيوننا المحاطة بالهواء
حين تلتقي فجأة بأعين أخرى؟
وهذا الإشعاع المتبادل
ترى أهو ضار لقلبنا
أم هو مفيد؟

إنك تحسبين، تحسبين...

احسبي إذاً:
كم كيلواطاً من التيار قدمنا بأكفنا
لأيدي الأطفال الصغيرة ولشعورهم الناعمة،
ولأبدان أحبائنا المرنة
ولأكتاف أجدادنا الضعيفة؟
وإن الذي نأخذه منهم: بكم هو أقل مما نعطيهم؟
أو بكم هو أكثر....؟

لا بد أنك تحسبين وتحسبين وتحسبين...

رجائي أن تحسبي، وتحسبي أيضاً:
أن واحداً من بيننا على الأقل
إلى كم امرأة نظر باشتهاء؟
وإلى كم امرأة نظر بإعجاب طاهر؟
وإلى كم امرأة نظر بلطف أخ فحسب؟
أشيري أيضاً إلى أماكن أولئك النساء،
اللواتي كن يستطعن أن يحببننا بعمق،
ولكننا لم نلتق بهن.
وحدّدي أيضاً عدد أولئك الأطفال
الذين كان يمكن أن نرزق بهم
ولكننا لم نرزق بهم،

ولن نرزق.
وحدّدي أيضاً عدد أولئك الأطفال
الذين كانوا سيكونون لنا
ولكنهم لم يكونوا....

لا بد أنك تحسبين وتحسبين وتحسبين...

حتى الآن لا نعلم الحقيقة
مَّ يضحك الإنسان ؟
الإنسان وحده
وليس أي كائن حي آخر.
وبعدئذ
حدّدي عدد موجات ضحكتنا،
وأطلعينا على ألوانها المختلفة،
وأفهمينا الفرق
بين الضحك بسخرية والقهقهة...

بجرسك الالكتروني القوي
وبعينك السيكلوبية[1] المشعة

---

(1) السيكلوب: هو الشخصية الخرافية عند الإغريق، له عين واحدة، وقد غرر به أودسيوس وسمل عينه، ويستعمل في الأدب كرمز للوحوش ذات العين الواحدة (المترجم).

حلّلي الحنين،
وركّبي ذلك الدخان الخفي
الذي ينفصل دائماً من ذلك الحنين
وقولي
إلى أين يمضي...؟

لابد أنك تحسبين وتحسبين وتحسبين....

حدّدي الآن ذلك التاريخ
أو على الأقل ذلك العام التقريبي والقريب،
عندما ستبعث الأمم المجروحة أخيراً
إلى الحياة أو تشفى من جراحاتها،
والأمم الباغية ستنال
جزاءها العادل الذي لن يطعن به أحد.
لأن الكثيرين – ومنذ قرون عديدة–
قد قنطوا من رحمة الرب
وما زالوا ينتظرون،
ما زالوا ينتظرون.
أنت، أيتها الآلهة الحديثة للأزمنة الحديثة،
ليتك لا تكذبين في ذلك، ليتك لا تكذبين...

هيّا احسبي، وعدّدي تلك الجسور
التي تربط البلدان بعضها ببعض

والتي كنا نتمنى
أن نكون قد عبرنا فوقها نحن أيضاً،
ولكن ذلك لم يحصل إلى الآن،
ولن يحصل...
حدّدي عدد
تلك الأخيلة والأحلام
التي تسمى بهذا الاسم
فقط لأنها
لم تتحقق...

حدّدي الرقم الذي لا يقبل الشك
لتلك الشكوك
والتي ننضج منها عادة،
وفي الأغلب
يذبل عمرنا بسببها
قبل الأوان...

أظهري حدود اليأس
وكم كنا نأمل
أن لا يكون له على الأقل
شكل الصاعقة...

وأظهري أيضاً حدود خيبة الأمل،

والويل لنا إذا توازت مع حياتنا،
وكما أعتقد:
فإنّ المتوازيان لا يتقاطعان...

وحدّدي أيضاً
عدد ساعاتنا الطويلة التي لا تحصى،
والتي ذهبت سدى في أزمنة عسيرة ويسيرة
وذلك وقت الانتظار في الطابور
والمسيرات،
وفي كل صباح
عند قراءة تلك الجرائد المتعددة اللغات
والتي تطل من حروفها الكبيرة السوداء والملتهبة
فوهة المدفع الوحيدة مصوّبة إلى عيوننا،
والغواصات تغرق رغباتنا في روحنا،
والصواريخ الهيدروجينية تريد
أن تولّد مياها بيضاء
من دمنا الأحمر الجاري في عروقنا.

بعد كل هذا ستحسبين وستقولين:
إنه بعد تحطيم كم طناً من الذرة
سيمكن شق لب كرتنا الأرضية بسهولة ؟
إنك ستحسبين
بأنه بعد اختراع أية أنواع من الأسلحة
ستحرم الأم من مقدرة الولادة ؟

وإذا قلتم كل هذا
لا تبقى ضرورة أن تعيني أيضاً
درجة آلام فقد الإيمان،
ويبقى فقط أن توضحي:
بأية أعجوبة
لم نغص في الأرض حتى أعناقنا مثل وتد حاد؟
تحت ثقل آلام فقد الإيمان...

وبصداقة قولي أيضاً
إنه في كل كم سنة
سيولد ذلك الطفل الأندرسوني[1]
والذي سيفهم منه الملوك
بأنهم عراة
ورجائي أن تضيفي أيضاً:
بأن الملوك
بعد معرفتهم لهذا

---

(1) الطفل الأندرسوني: هو ذلك الطفل الذي كشف عري الملك الذي كان يعتقد أنه يرتدي ثياباً جميلة، لأن نساجاً كاذباً قد أقنعه بأنه سيحيك له قماشاً رائعاً لا يرى من قبل الموظفين غير الجديرين بمناصبهم. فلبس الملك ذلك اللباس الوهمي، ولم يعترض على الرغم من كونه عليماً بأنه عار، لأنه كان يخشى أن يقال إن الملك غير جدير بمنصبه، وهكذا سار في موكب رسمي في شوارع المدينة إلى أن كشفه الطفل السابق ذكره. وهذه القصة للكاتب الدانمركي اندرسون (المترجم).

أيسترون عريهم ؟
أم سيستمرون عراة ؟
وهل يجبرون الناس الذين لايرغبون بذلك،
والخجولين،
على أن يعيشوا بعيون مغلقة...؟

عجباً تقولين؟
بأن الصمّ البيتهوفيني
لا يرتبط أبداً
بتلك الانفجارات المدوّية
التي تحصل الآن في العالم
وفي أعالي الفضاء.
وإذا كان له صلة بذلك
فرجائي أن توضحي،
بأن العالم الآن:
هل سيكون سعيداً بوجود أمثال كثر لبيتهوفن،
أو سيزداد بذلك عدد الصم...؟

احسبي أيضاً، وللمرة الأخيرة:
بأي شكل
وبالمساعدة الخيرة لأية آلة
لا يزال من الممكن حفظ الإنسان إنساناً ؟
أو من جديد فقط
يمكن تحويل الإنسان إلى إنسان...

نشيد منتصف القرن

(1
قديماً
كانوا يحرقون أمثالنا في النار...

أما اليوم
فنحن الذين سنضرم النار،
سنضرم النار في أنفسنا.
وإذا كان الملح يخمد النار
فبنارنا هذه سنحرق الملح أيضاً،
لكي نتوهّج أكثر ونحترق،
بحيث
لا يبقى منا رماد أو بقايا...

(2
قديماً
كانوا يرجمون أمثالنا بالحجارة

أو يقتلونهم ببطء
بغرس أوتاد في أجسادهم،
كما يغرسون الدبوس
في اليوم الوحيد الذي تعيشه الفراشة.

سنجلس الآن مرتاحين
فوق برج التلفزيون العالي
نتسمّر ونبقى
بكلماتنا الحادة
في سمع الإنسانية ونواظرها
مثل مبضع شاف
أو إبرة واخزة...

(3
قديماً
كانوا يصلمون آذان أمثالنا من جذورها،
كانوا يبترون أيديهم،
كانوا يسملون عيونهم،
كانوا يقطعون ألسنتهم
أو يصمونهم على الجبين
وصمة غائرة
لا تمحى،
لأنهم يرون فيهم سحرة مشعوذين

أو أنبياء دجالين.

أمّا اليوم فها نحن نعود طائعين
إلى مهنتنا القديمة،
نعود إلى السحر... بصلاحنا،
نجدد قيامة الجمال والسمو،
ونكون أنبياء حقيقيين
كتلك الأعشاب الظاهرة والخفية
التي تحس بقدوم الشمس،
أو كجلد ذلك الحيوان
الذي يتبدل
حين يحس بتبدل المناخ.

4)
قديماً
كانوا ينظرون إلى أمثالنا
نظرة من رأى أو يرى البرص.

والحق يقال: نحن مصابون بالبرص
ولكنه برص يكمن داخلنا،
بسبب الحمى الخفية أو البرد الشديد
شفاه كثيرين ملأى بالبثور
أما نحن... فإن البثور تملأ أعماقنا،

أما نحن... فإن البثور تملأ أرواحنا،
إننا محاصرون من الداخل
ببثور حمراء
شبيهة بالزعتر البري.
شيء ما في صدرنا يفور
كما يفور صدر عروس حديثة،
داخلنا يثور،
أرواحنا متخمة بأورام هذا العالم،
ونحن نتمسّح بأيدي الإنسانية الصالحة،
وأظافر الحب الحادة– الحادة
ومشط الغضب المؤلم.

(5
في الماضي كانوا أحياناً
يرون فينا رأس بصل،
نحن الذين لم نكن كذلك أبداً.
وما وجه الشبه بيننا وبين البصل
سوى كثرة الطبقات والحزم.

واليوم سنفتح عمّا في دواخلنا
باختيارنا،
سنعرّيها طبقة طبقة، حزمة حزمة،
وعند الحاجة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سنعرّيها عري البصل الحاد،
أو كما برعم زهر،
سنعرّي أنفسنا، ولكن باختيارنا
حزمة حزمة، قشرة قشرة،
حتى نصل إلى الجوهر
ونستنزف تماماً،
مثلما تستنزف الأمهات حليبهن،
ومثلما يستنزف الرجال
طاقتهم في الإنجاب...

(6
ثمّة أزمنة رديئة
إذا لم يلجم الإنسان فيها لسانه
فإن الآخرين
سيغلون يديه ورجليه بالأصفاد.

لقد أطلقنا لألسنتنا العنان
والحق إن الألسنة لا عظام فيها
ومع هذا تستطيع أن تحطّم العظام
إضافة إلى قيود الأرجل والأيدي.
نحن الذين ولدتنا أمهاتنا بشراً
لا نريد أبداً أن نتحوّل من جديد

إلى زرافة مبقّعة ذات عنق طويل.
لا نريد أن نتحوّل إلى زرافة
لكي لا نمدّ عنقنا بأمل أحمق
لمراقبة الأشياء التي لم... ولن توجد.
لا نريد أن نتحوّل إلى زرافة
لكي لا يطبعوا نجوماً مطفأة على جلودنا
جاعلين منها سماء كاذبة.
لا نريد أن نكون زرافة
لأن هذا الكائن الأعجم
لم ينطق بكلمة واحدة
في حياته كلها...

إننا نريد لغة الفعل
شرط ألّا يتحوّل إلى حجر رحى يطحن الكذب
أو طاحون يطحن الخداع،
فالكذب أمر عسير
لكنه أسهل بكثير
من الاستماع إليه باستمرار.
لقد سئمنا من ترديد الأكاذيب الشبيهة بعلك اللبان،
فالبضاعة الجيدة تنفق بسهولة
وأنت ستمتدح البضاعة الرديئة
وأمّا نحن
فنرفض كل أنواع صغار الباعة الجوالين...

لقد ولدنا وأتينا إلى هذا العالم
لنكون نحن نحن،
تماماً كما نحن الآن،
وليس من أجل وجاهة أو مكانة في الحياة.
لقد ولدنا
كي نغرز جواباً واحداً على الأقل
في عين سؤال واحد
من بين آلاف الأسئلة
التي تطرحها الإنسانية،
لكي نعيد إلى عقولنا رويداً رويداً
ذلك الجوهر الغارب عنها،
كي لا تفقد حداثتها، وكأنها
عرضة للتجفاف بورق نشاف يمتصها
ومن هيبتنا لا يخلفون وراءهم
سوى قطعة ورق مجعد
اسمها «الوصل»...

(7
في كل مئة عام
يولد عظيم من عظماء هذا العالم
بينما في كل يوم يولد مئة عظيم في عالمنا،
يولدون عظماء... ولكنّ الآخرين لا يتركون لهم
أن يكونوا عظماء.

لقد ولدنا
وكانت «هللويا» و « تسبيح الله»
على الأغلب غذاءنا... بدلاً من الخبز العادي.
عيوننا (عيون إنسان نصف جائع)
كان يغشيها ضباب كثيف....
وكان القمل يمتص
أحلامنا الخيالية،
رغم كل ذلك فقد استطاع أمثالنا
أن يحفظوا شرفهم طاهراً
وضميرهم ناصع البياض كالملح،
لأنهم يفضلون فقدان رؤوسهم
على أن ينحنوا أمام أولئك الذين
يجدّون في سكّ دماغ الإنسان
كما تسكّ النقود،
أو طبع الأفكار مثلما يطبع القماش.

لا، إن أمثالنا
لن يركعوا أبداً لصنم
ولن يفقؤوا إحدى عيونهم لأن ذلك الصنم
مثل السيكلوب بعين واحدة.
إنهم على الأغلب يفقؤون إحدى عيونهم
كي يروا البعيد، وكي يروه بوضوح.
وقد يفضلون أن يثنوا ركبهم

من أجل رفع آلام البشر المريرة
بطريقة ما إلى الأعلى
وحرقها في أتون الشمس.

وقد يفضلون أن يثنوا ركبهم
ليحتضنوا أفخاذ الجَمال العارية
وليذوبوا بصمت في رائحة التراب الدافئة
على أمل أن يرتسموا
في عيون الأطفال...

نحن لسنا بعصافير
لنرفع مناقيرنا إلى السماء
بعد أن نلتقط أول قطرة ماء.
فكل من يريد أن يشرب ماءً من الينبوع
لا يستطيع الامتناع عن الخشوع
ولا يستطيع الامتناع عن ثني ركبتيه.

لا يستطيع الامتناع عن الخشوع
ولا يستطيع الامتناع عن ثني ركبتيه
كل من يريد أن ينظر إلى قاع الآبار،
تلك التي لم تكن سوى أصنام
وتماثيل لذلك الظلام
الذي يسمّى بالروح منذ قرون عديدة.

... أمثالنا يسجدون لتلك الأصنام
يخشعون وينحنون أمامها فقط
ويتعرفون على أنفسهم
في مرآتها المظلمة...

(8

وسيأتي يوم
يعبد فيه الناس أمثالنا أيضاً،
ولكن ليس كما تُعبد الأصنام
وليس كما يعبد الله،
بل... كما يعبد الأبطال.

لأننا نعرف جيداً
وعلى الأغلب
من أننا نضرب بكفّنا رأس المسمار
بدلاً من المطرقة،
ومع ذلك فإننا على ثقة أيضاً
بأن هذه الكف لم تأخذ الشكل المعروف
للمطرقة،
بل إن المطرقة هي التي أخذت
شكل أكفّنا...
ونحن نعرف
أن الرياح إذا كانت تلهو بشعرنا

فالطقس يلهو مع...رأسنا،
ولكن النجوم بمشطها الكروي الأبيض
وبحركات مريحة كل مرة
تسرّح شعرنا
الذي نثرته الريح،
وبذلك تؤكد لنا ولنفسها
بأن رأسنا ما زال في مكانه...

بمثل هذا الإيمان والأمل يا صاحبي
أمثالنا
ينامون كل ليلة فقراء
ويستيقظون أثرياء...

داء الإشعاع

إن داء الإشعاع هذا ليس جديداً يا صاحبي،
إنه ليس مولوداً جديداً،
إن عمره، على الأقل، ثمانية آلاف وثمان مئة سنة...

بهذا الداء أصيب الاغريق
والهنود القدماء،
وبه أصيب هوميروس بالعمى،
وبه نزل إلى القبر قديسكم ناريكاتسي[1]
وشكسبيرنا،
وكل الذين لهم رئات
بحجم نصف كرتنا الأرضية،
أو كان لهم قلب كبير
يستطيع أن يشغل مكان الرئات...

---

(1) هو القديس كريكور ناريكاتسي (951– 1003م) من أكبر الشعراء الأرمن، مؤلف «كتاب المأساة» (المترجم).

إن العدوى بهذا المرض لا تنتقل بين الناس
بل يولدون من أمهاتهم وهم مصابون به.

إن هذا الداء يصيب فقط الذين يرون
سبعة آلاف وسبعة ألوان في قوس قزح.
الذين يسمعون
اللحن الجماعي الهائج بجنون الجزيئات
من تلك الفؤوس أو المطارق
التي لا تخرج حتى الرنين الضعيف
وهي خرساء وصامتة كالأصنام...

إن هذا الداء يلتصق فقط
بالذين ينظرون إلى الجاموس الأسود
على أنه آلة عزف سوداء تمشي
وتعزف من أجلهم فقط.

إن هذا الداء يلتصق فقط
بالذين يرون في الصخر- في الحجر غير المنحوت
«فوروم»[1] و«زفارتنوتس»،[2]

---

(1) فوروم: من انقاض مدينة روما (المترجم).
(2) زفارتنوتس: كنيسة أرمنية جميلة، دائرية الشكل، تهدمت كلياً في القرن العاشر الميلادي (المترجم).

وفي كتلة الصخر يرون «اجاندا»[1]، «اللورا»[2]، «كيغارت »[3]
وفي النسيج عديم اللون: يشاهدون «العشاءالمقدس» و«المجدلية»،
وفي أعماق كل شاب يمرّ
يجدون «هاملت » نائماً
«وعطيل » يقظ.

بداء الإشعاع هذا لا يتألم
سوى الذين في وحدتهم
يجلسون ليحاوروا الإنسانية بأجمعها.
الذين.
يشعرون بدوران كوكبنا بأعقاب أقدامهم
ويحسون نمو الحبوب بأكفهم
حتى وإن تركوا أكفهم في الهواء.
الذين
لم يستطع أن يحبهم، بأي شكل
كل الملوك عبر كل القرون
والذين كانوا يحاولون القضاء عليهم
ليس فقط بالنفي أو السجن

---

(1) اجاندا: آثار منطقة مسكونة من القرن الثاني قبل الميلاد، مشهورة بمعابدها البوذية الخمسة المحفورة في الصخر(المترجم).
(2) اللورا: آثار في الهند، قرب «دوكان»، من القرن التاسع الميلادي (المترجم).
(3) كيغارت: كنيسة أرمنية جميلة محفورة في الصخر، من القرن الثالث عشر الميلادي (المترجم).

بل بجلبهم إلى القصور أيضاً
وباظهار الحب الكاذب لهم.

إن داء الإشعاع هذا ليس جديداً، ياصاحبي...

ولادة الشاعر

يصبحون شعراء في ذلك اليوم فقط،
عندما يفهمون،
وفجأة يدركون
بأن عملهم هو- فقط - تلك الزجاجة:
التي يلقيها البحار وهو يوشك على الموت
في مياه البحر،
مع أسطر يسترحم بها أحداً لإنقاذه...
وبحر الزمان المتّبع هواه
هل يوصل - في يوم من الأيام -
تلك الزجاجة إلى الشاطئ...؟

الشعراء

مثل الجميع
هم أيضاً
لا يستطيعون العيش بدون أوكسجين.
ولكنهم في كل دقيقة
يحترقون أولاً بدون أوكسجين
وبعده فقط يلتهبون كالفحم.

إن بكاءهم لا ينقطع
ولو حصلوا على كل الطيبات
وإذا بكوا...
فهم مثل قطار يمرّ في نفق.

إنهم يضحكون أيضاً،
والضحكة
ترن كالنقد المصلصل الطاهر
والعالم هو الذي يَغْنى منها

وليسوا هم.

وإذا عرقوا:
فذلك ليس من خجلهم
بل مثل الزجاج فقط...!
من توهجهم الداخلي،
عندما يكون في الخارج برد شديد...

وإذا كذبوا...
فكذبهم مثل كذب الصيادين
ولا أكثر من ذلك غالباً.

وإن كذبوا بشكل آخر
فالكاذبون ليسوا هم،
بل الآخرون الذين يتنكرون بمهارة
ويعملون بعد أن ينتحلوا شخصياتهم.

وهم أيضاً
لا يستطيعون العيش بدون الماء والخبز
مثل جميع الناس،
ولكنهم
لا يستطيعون العيش بالماء والخبز فقط...

الحق أقول لكم
ليس من الممكن أن لا يُحسَدوا،
ولكن قد تكون أزمنة
يشفق الناس فيها عليهم.

حياة الشاعر

كجبل آرارات –
تحترق رجليه من لهيب الوديان
وأما رأسه... فمتجمّد...

كمكوك الفضاء –
يتجه لهيبه إلى الوراء،
وأمّا رأسه... فإلى الأمام.

على شفتيه كلمات غير مسموعة،
وفي قلبه دوي
وفي روحه... ضجيج.

....

لتكن حياته قصيرة جداً
أو لتكن لغزاً،
على أن تتحول أقواله
إلى ... أمثال.

الأغنية الحقيقية

تولد الأغنية الحقيقية
مثل النار التي تولد من السلاح:
والتي تردّ الرامي إلى الخلف
وتقتل من تصيبه في الحال.

وصيتي

إن المتعارف على تسميته بالأدب
ليس سفارة
تحتاج إلى أن تدبّر وتفكّر وتحسّ بشيء
وتقول شيئاً آخر مغايراً.

وأنت لست سفيراً
بل قد تكون رسولاً.

فإن كنت سفيراً حقاً
فأنت سفير الحياة،
سفير الحاضر...
وعلى الأغلب
سفير المستقبل...

لحظة الشك

لو كنت أؤمن حقاً
بأن قصائدي ستفيدكم،
لأغدقت عليكم القصائد كأرتال الجيوش،
ولكن ما فائدة الجلوس وكتابة القصائد؟

ما القصيدة إلّا عزاء نفس متألمة،
إن حلت في مكان، فهي وصية لا تنفّذ،
وإن لدغت، فهي كالنحلة التي تموت من لدغتها.
إنها قطرتان عكرتان من سائل «فاليريان»[1].

وإذا ما تحوّلت القصيدة إلى سلاح
فأين اليد التي
ستمسك السلاح بطواعية وثبات...

---

(1) سائل منوّم (المترجم).

قانون الإيمان

أنا أيضاً أملك قانون إيمان،
والذي باستطاعتنا تذكره بسهولة
لكونه قصيراً:

- من الأفضل أن لا يكون لك مأوى في الحياة،
من أن تكون «صهر بيت» .... في الفن...

الظمأ

أنا أيضاً أعرف إلقاء الخطب
وطبعاً أعرف إرشاد الناس،
ولكن المجد والفخر لمن
يحرق النفوس لهباً
ويحرقها في دقائق،
بإسمين صحيحين
وبفعلين صادقين.

أنا أيضاً أعرف الأعداد المزدوجة
ولكن المجد والفخر للذين
يسيطرون على الأعداد الفردية،
يسيطرون، بحيث
يقسمونها على الأعداد المزدوجة بسهولة،
وبالربع يحصلون على عدد مزدوج
دون باقٍ.
ما هي العضلة ؟ الكل يملكونها،

المجد للأعصاب التي
تتهيّج من الرياح الخفيفة،
ومن تبادلات المحيط والسماء،
من درب النساء غير المتكرر
وحتى من معجم الشارع،
أي من ذلك الغسيل
الذي لا ينشر بتسلسل الأبجدية.
و... تتهيّج أيضاً
من ذلك الاحتراق الذي
لا يترك أثراً،
والذي يسمّى الذاكرة.
وكذلك من المشية العرجاء لتلك الإبرة
التي تخيط روح الإنسان بالنظافة،
والتي تسمي نفسها بالقلم،
وتسمّي النظافة... بالورقة البيضاء...
ما هي الكتابة ؟ أنا ايضاً أتقن ذلك،
فالفخر والمجد للمبدع الذي
يبترنا ويفصلنا عن أنفسنا
ثم يجمعنا ويوحدنا مع أنفسنا من جديد،
ومن ثم... مع المجهول...

الكل الآن يعرفون القراءة
فالمجد إذاً... لمن يفهم ما يقرأ....

نشيد الكهف

نحن خرجنا من الكهف المظلم
قبل ملايين السنين.

وها نحن نخرج من ذلك الكهف
في كل لحظة.

وهذا الكهف يلاحقنا،
يلاحقنا من داخلنا.

وإن أكثر من نصف ما نغنّيه
هو الصدى الآتي من ذلك الكهف.

ونحن نغنّي بنصف ما تبقّى
النشيد ذاته لذلك الكهف.

إننا نغني بتلك الكلمات المبهمة الشبيهة باللعنات

والتي نفهم معانيها بقدر ما تفهم

العجوز كلماتها السحرية المشوشة،
وبقدر ما يفهم الطفل أصواته غير المفهومة...

في لحظة الإلهام

وحين أمضي وحيداً في السهول...
وأنا أناجي نفسي
أجدني أسمع بوضوح
جدل المياه الجوفية وصخبها،
إلى درجة أنني أرى زبدها...

اعتراف

من جديد عاود الفرنسي كلامه في داخلي...
ولم أبال بالإصغاء ثانية
إلى صوت أجدادي، صوت الحكمة،
إلى كاهن الحكمة
الذي سأعترف له الآن
بكل ذنوبي.

يا أبتِ، كنت أودّ أن أدفع حياتي
مقابل إلغاء كلمة « الحذر»،
أهذا ذنب كبير؟

يا أبتِ، كنت أودّ أن تصبح
مخالفة القوانين قانوناً.
أهذا ذنب كبير؟

أليس من الممكن، يا أبتِ

أن تصبح الأقدام حرّة؟
الأقدام على الأقل، يا أبتِ، وليس الرأس...
هل ذاك أيضاً ذنب كبير؟

ولبرهة عابرة كلحظة الموت،
أليس من الممكن يا أبتِ
ألا نلصق لكلمة «أنا إنسان»
أية صفة ضيقة؟
هل ذلك أيضاً ذنب كبير؟

يا أبتِ،
إن لم يكن الإنسان يؤمن بك،
فأين سيعترف إذاً بذنبه ؟

إني مشتاق للاعتراف، يا أبتِ،
حتى لو لم يُغفر لي،
حتى لو أُدِنتُ.

فأين سأعترف ؟
ولِمَن سأعترف ؟
يا كاهن الحكمة المقدسة،
لا أب... ولا قديس...

ليس بدون ألم

أحسست ذلك، وأحسسته بألم:
بعد القطع فقط
يظهر الثخن الحقيقي للشجرة.

كبداية

كبداية سأقول هذا فقط:

في العالم توجد فتوة،
توجد حياة،
يوجد حب،
يوجد فتيان وفتيات،
ببشرة شقراء، ببشرة سمراء.

وفتاة،
بعيون سوداء وبشعر أسود
أسرتني، سلبت عقلي بدلالها.

وغالباً عندما تأتي
تمسك يدي، تفتح كفي،
ترف عيونها السوداء تارة
وتارة تفتحهما،

تغلقهما تارة أخرى
ثم... يبدأ التنجيم.

- «أبو - أبو، كابو- كابو...
تعال نرى ما في الكف....»

- «أطو- أطو، هاطوه- هاطوه...
نرى ماذا يكره الشاب....؟»

- «أنام - بيرو، جانام- بيرو...»
ويوماً ما لم أصبر، وقلت:
- أعرف، أعرف،
إنك منجمة وساحرة أيضاً،
ألم تسحريني كاملاً
من أخمص قدمي حتى رأسي ؟
ولكن ماذا يفعل كفي الواحد ؟
أنت تعرفين أن الكف الواحد
لا تستطيع التصفيق،
ماذا يوجد إذاً في ذلك الكف ؟
أتريدين
أن أكون
إنساناً في راحة الكف...؟

أمام الناس وأمامك
ها أنذا أفتح
كل ما أملك وكل ما لا أملك
من روحي.
أمام الناس وأمامك
ها أنذا أتفتح
مثلما يتفتح الطفل في أرجوحته
عندما يشعر بالحرارة...

إنني أعترف

سئمت الكلمات اللطيفة الباردة.
ومن الأفضل أن تكون حدّاداً ماهراً
من أن تكون صائغاً....

إنني أريد

إنني أريد أن يُملأ الفراغ بالبكاء
ولكن ليس ببكاء الأم، بل ببكاء الطفل.
إنني أريد أن لا يموت البجع
بل أن يحيا البجع... بالغناء.
إنني أريد أن يهطل المطر بغزارة على الزرع
وأن لا يهطل عبثاً على منتصف البحر.
إنني أريد أن تحتضن الجبال بين ثناياها وعولاً
ولا أريد لها أن تحتضن الثعابين والجرذان.

وإذا كان الموت لا بدّ منه
فليأخذ معه الإنسان التافه، ويترك البطل.
وإذا كان القتال لا بدّ منه
فمن الأفضل أن لا تتقاتل دولتان، بل رجل وامرأة.
وإذا كان لا بدّ من الكي
فها هو ذا اللباس، فاكووه ، ولا تسلموا قلباً إلى المكواة الحارّة.

هل من حاجة للدفن ؟
فليدفن الابن أمه العجوز
بدلاً من أن تدفن الأم
ابنها الشاب.

إن كنتم ستغنون
فغنّوا بحيث لا يقولون لأنفسهم: « لقد أخرجوا روحنا».
وإن كنتم ستحتضنون بعضكم بعضاً
فافعلوا ذلك بحيث يغمى عليكم وأنتم بين أحضان بعضكم.
وإن كنتم ستحترمون بعضكم بعضاً
فاحترموا بحيث لا يتحوّل الاحترام إلى ممالقة.
وإن كنتم ستنقذون حياة شخص
فانقذوه بحيث لا يلفظ المُنقَذ كلمات الشكر.
وإن كنتم ستتمددون على الأرض
فتمددوا بحيث تغلقون درب الدبابة
وليس درب سيارة الإطفاء.

اسمحوا لي أن أطلب ثانية:
إنني أريد:
أن يهجر الوحش القديم
الذي له شكل الحسد الشرير
قلب الإنسان ويبتعد بلا ألم
مثلما هجر جدّ الإنسان منزله -- عندما هجر الكهف.

إنني أريد:
إن كنا سنقع في الأسر
فلنقع في أسر الفتيات
وليس في أسر الأعداء.
وإن كنا سنتروّب
فلنتروّب، ولكن بدون تخمّر.
وإن كنا سنركّز اهتمامنا على شيء
فلنفعل ذلك عند الإبداع فقط...
وإن كنا سنتواجد في مكان صدفة
فلنفعل ذلك عند انقاذ حياة رجل
موشك على الموت.
وإن كانوا سيسامحوننا على أفعالنا
فعلينا ألّا نجادل ولا نقاتل بعد ذلك.
وإن كنا سنحبُّ من أحدٍ
فلنحُبّ من واحدة، ولمرة واحدة فقط.
برأيكم، هل أنا أطلب المستحيل؟
إذاً، فلتلد النساء بلا أوجاع المخاض
ولتحارب الدول، بدون بحر من الدماء،
ولتتأجج الحرائق بلا نيران،
ولينقل الناس عدوى الصحة فيما بينهم.
وإن كانت النحافة لابدّ منها
فلينحف خصر النساء.
وإن كانت عبادة القانون لابدّ منها

فلتبق تلك العبادة غريبة عنا.
هل من حاجة للتقديس؟
فليكن التقديس من المنابر العالية
بدلاً من إغلاق التوابيت بالترانيم.
هل من حاجة لعملية التقسيم ؟
فلتقسم الأعداد في الدفاتر المدرسية
بدلاً من أن تقسم القلوب إلى شظايا.
ماذا؟ هل الانفجار ضروري ؟
فلينفجر بالون الطفل
– ولا سيما إذا كان رديئاً–
بدلاً من أن تنفجر كرتنا الأرضية هذه.
كرتنا البريئة والمذنبة في آن واحد.

/

إنني أريد...
إنني أريد ما تريدونه أنتم جميعاً...

لا أحترم

بينما للسنة اثنا عشر شهراً وأربعة فصول،
هذا الرجل يغيّر « فصله» اثنتي عشرة مرة في اليوم.
إن كنت رجلاً ذا منصب عال
وإن كنت مدمناً على شرب الحشيش،
فهو أيضاً يشربه، لكي لا تنزعجوا منه فجأة.
كل ما يُعزف... فهو راقصه،
كل ما يخاط... فهو خياطه،
كلما أشاروا إلى شجرة فهو الذي يرميها،
فهل تحترمونه؟

وأمّا هذا؟
فهو كالحبل المذكور في الأمثال الشعبية،
فجرّب أن تضع غصناً عليه ... !

لا أحترم أيضاً ذلك الكلب الذي
كلما ضربه صاحبه الشرير دون مبرر

لعق رِجلي صاحبه أكثر فأكثر
لعق تلك الأرجل التي تضربه وتدوسه
.... وبدلاً من أن يعضه...
ينبح فقط.

تعالوا لا نحترم الذين:
يدرسون شيئاً ولا يتعمقون فيه،
يلقون الخطب ولا يقيمون وزناً للكلام أبداً،
الذين لا يميزون الرطب من اليابس،
ولا الوادي من الهوة،
الذين يفهمون الأشياء المكتوبة حرفياً،
والنائم يحسبونه ميتاً.
الذين
يظنون الدخان بركاناً
والبكاء... زكاماً.

لا أحترم أيضاً تلك الحداثة التي
هي الشكل الجديد للقديم،
ولا تلك القساوة التي
لا تتميز عن الظلم،
ولا أحترم أيضاً تلك الحفرة التي تبدو عميقة
بينما ينمو فيها القصب والأزهار المائية،
ولا ذلك الصلاح الأحمق

الذي ينسى الألم والكآبة...

وليس فيّ احترام لتلك الشيخوخة التي
ليس لها أريج الحكمة،
ولا ذلك الجنون الذي
ليس فيه شعاع من جنون صاصون،
ولا تلك القيامة المحتملة
التي تنتهي بالانبعاث فقط
بدلاً من العودة إلى الناس...

ومرة أخرى لا أحترم الذين:
يختبئون في زاوية عفنة فاترة
بينما كان بوسعهم البقاء في الهواء الطلق،
ولو كانوا سيحتملون البرد قليلاً.
(أنا أيضاً ألتجئ أحياناً
إلى هناك...).
الذين يبقون في الظلام
عندما كان بوسعهم أن يظلّوا نيّرين إلى الأبد
(أنا أيضاً يحتضنني الظلام أحياناً...)
ولا أحترم الذين يضيعون قوتهم
في الهمسات
عندما كان بوسعهم التكلم بصوت عال

(وأحياناً لا أحترم نفسي...)

وأحياناً لا أحترم نفسي...

إنني أزعم

بإمكاني أن أزعم:
أن هذا الماء العكر ليس عكراً.
بإمكاني أن أزعم:
أنّ هذا الكوخ قصر عظيم.
بإمكاني أن أزعم:
أن هذا الدخان
فحم حجري متبخر،
وأن هذا القماش الأحمر الناعم
ليس نسيجاً، بل لهيباً وناراً...

بإمكاني أن أزعم بأنك قريبة مني
رغم أن جبالاً وودياناً تفرّقنا....
بإمكاني أن أزعم:
أنك متواضعة وخجولة،
مع أنك في الحقيقة
لم تنتبهي إليّ.

بإمكاني أن أزعم:
أن هذا النوم يقظة،
وأن تلك الخسارة الأليمة
انتصار عظيم لم يُرَ مثله،
وأن هذه الإجاصة... إبريق كبير،
وأن هذا التشييع... هو احتفال سعيد،
وأن هذا الجبل... حفرة كبيرة مقلوبة،
وأن إصبعي
المسمّى بالخنصر
قلم صغير.

بإمكاني أن أزعم
ولكن ما الفائدة...؟

الأفضل

إن أفضل ابتسامة، هي بالتأكيد
الابتسامة بعيون مغمضة.

وأفضل الأحلام
هي الأحلام بعيون مفتوحة.

أمّا أفضل أغنية
فهي الأغنية التي تتناهى من بعيد- عبر النافذة المشرّعة.

وأبلغ الكلام
هو الكلام الذي يعبر عنه السكوت الصامت.

وربما كان الشعب الأفضل
هو الشعب الذي لا يملك امبراطورية مترامية الأطراف.

وأفضل الإيمان

هو الإيمان الذي لا يتحوّل إلى دين.

والقناع الأفضل، بلا شك
هو وجه الإنسان.

وأفضل التمثيل
هو التمثيل الفاشل.

والحب الأفضل
هو الحب الذي لم يكتمل بعد.

وأفضل عذاب وألم
هو عذاب الوردة في الأغاني.

وأفضل قرد في العالم – كما يبدو –
هو الإنسان.

وأفضل إنسان، بدون أي شك،
– واسمحوا لي بذلك – هو... أنا.

كلام خطأ عن الخطأ

«أنا لا أوجّه كلامي إلى أحد،
ولكن هناك شيء ما غلط
في مكان ما».

وليم ساroyan

الربيع مجنون
والهواء نشوان،
من النور، ومن النور وحده
حتى العاقر يمكن أن تحمل.
بينما أنا أنوء
بحملي الثقيل
حمل رأسي وقلبي
حيث يتحول جسدي تحت وطأتهما
من شكل: 9
إلى شكل: 8

إنني أمشي بصعوبة،

لا أفكّر،
وذلك هو تفكيري.
لا أسمع
ولا أريد أن أتلقى أي صوت
ولكن يسمع في داخلي ومن حولي باستمرار:
«أن هناك شيئاً ما خطأ في مكان ما».

هناك خطأ ما في محور الأرض
الذي لا يمر باستقامة، بل بشيء من الإعوجاج.

هناك خطأ ما حتى في النور
فمن المفروض أن يكون
ذا ثقل ووزن.

إذا كان التديّن خطأ، فذلك معروف منذ القدم،
ولكن أليس الإيمان أيضاً خطأ في مكان ما ؟

إن شيئاً ما خطأ حتى في الحقيقة،
والذي يسمّى مؤكداً ألا يحتاج إلى توكيد ؟

إن شيئاً ما خطأ في الدم، حتى في الدم،
فلماذا يسيل ؟
وعند السيلان لماذا يتخثّر ؟

إن مدت اليد إلى الكأس بيأس
فالخمر أيضاً على خطأ
إنه لا يغرز في الحنجرة.

حتى المياه على خطأ
إنها تجري من الأعلى إلى الأسفل،
من الأعلى إلى السفل،
إنه..... سقوط مستمر.

نعل الحذاء على خطأ،
إنه يفصلنا عن التراب.

والتراب أيضاً على خطأ
إنه يباع ويشترى.

النار على خطأ،
لماذا تدخن؟

السكوت خطأ.
إنه يقتلع أجنحتنا،
أمّا الكلام بصدق فهو خطأ.... وخطأ.

ولكن ما الذي يميّز

الطريق المغلق عن الأفق ؟
إن كان الأول يقطع رجليك، والثاني يفقأ عينيك.

التحطيم خطأ
ولكن – وكما أعتقد – ألا يستفيد المهندس منه؟
حيث تتضاعف الأشكال
من جراء التحطيم والتكسير.

ربما يوجد خطأ عند الذين يحاولون بإخلاص
تصحيح الخطأ،
وفي كل مرة، وعند تصحيح خطأ ما،
– وبدون إرادتهم –
يرتكبون خطأ جديداً.
فالرغبة إذاً خطأ.

ولا شك بأن شيئاً ما... شيئاً جاداً،
خطأ في جسم الإنسان،
فماذا نفعل برأس واحد ؟
إذا كانت الحياة بدون أخطاء
صعبة إلى هذه الدرجة.

بعد كل هذا، ما هي النتيجة ؟
الحقد خطأ،

والحب خطأ،
وكذلك الاحتراق
والدخان.

ولا شك بأن التفكير على هذه الشاكلة خطأ،
وبالتالي، فهذه القصيدة هي من أكثر الأخطاء خطأ...

يد الأم

هذه اليد، يد الأم
كم هي قديمة وجديدة...

ما الذي لم تفعله هذه اليد...؟
كم رقصت هذه اليد
بدلال
وشوق
عند الزواج...

ما الذي لم تفعله هذه اليد...؟
لم تطفئ النور حتى الصباح
عندما ولد لها بكرها
وتغذّى بحليبها النقي.

ما الذي لم تفعله هذه اليد...؟
كم من الحرمان والهمم تحمّلت

بصمت كبير
وبصبر طويل...

ما الذي لم تفعله هذه اليد...؟
باتت أعمدة موجهة إلى السماء
كي لا يهدم عمود بيتها
كي يعود ابنها من القتال إلى بيتها.

ما الذي لم تفعله هذه اليد...؟
حتى غدت يد جدة
هذه اليد المنهكة القوى
والتي تجددت قوتها
مع ولادة حفيدها...

قلبت الحجارة وحرّكت الجبال،
ما الذي لا تساويه
هذه اليد الناعمة
والمقدسة؟

تعالوا اليوم نقبّل كالأبناء
هذه اليد التي أوجدتنا وأطعمتنا
التي كدّت من أجلنا وحفظتنا
والتي لم تشبع منّا أبداً.

هذه اليد التي مسحت الغبار وغسلت
وعملت دائماً.
هذه اليد، هذه اليد
وإن كانت خشنة وقاسية
ولكنها ستبقى بالنسبة لنا
كالحرير ناعمة هذه اليد...

الحزورة

ما الشيء الذي
إذا ما حلّ
جفا النوم عيوننا؟

سعل الجد مباشرة
وبعد أن هدّأ سعاله
قال:
إنه الشيخوخة.

وقال الأب الذي كان
قد شارك في الحرب:
إنه الأسر.

وقالت الأم:
إنه الأمومة
وكررت:

الأمومة.

صفق الطفل
ضارباً كفاً بكف
ودندن بدل الكلام
موحداً بين صوته وإيقاع التصفيق
وقال:
إنه (البابا نويل).

أمّا الفتاة المراهقة
فقد رتّبت شعرها
بيديها الملتهبتين
ولم تقل شيئاً
بل تأملت:
أليس واضحاً ؟
إنه الحب.

خدعة العواطف

أحياناً يخيّل إليّ
أنني كنت أنام مع تلك الملكة
التي يسمونها كليوباترة.

أنام معها، وفي الفجر
تقطع رأسي بيديها اللتين طالما دللتاني.

سفر إلى الوراء

عجباً لكِ،
لماذا تصدين بهذا الشكل
ويصطبغ خداك خجلاً مني ؟
ماذا؟ أما زال تعارفنا في بدايته ؟
ألم نعرف بعضنا إلى الآن جيداً ؟
ولكنني، يا حبيبتي الخجولة، أعرفك وأحبك
منذ أربعين سنة على الأقل
أو منذ أربعة آلاف سنة قصيرة.
كيف تنسين ذلك ؟
وتظلين خجولة وبعيدة على هذا الشكل،
وكأننا لم نتعارف إلاّ قبل قليل
ولم نعرف بعضنا بعضاً كما يجب.

لا يا حبيبتي
لسنا عاشقين جديدين أبداً
بل نحن نصب تذكاري للحب،

نصب تذكاري حيّ وقديم.
إنني أعرفك جيداً كما أعرف النار...
تلك النار التي رسمت
صور ظلالنا على جدران الكهف،
وبلهيبها المتأجج ترجمت
حركاتك
وابتهاجاتي
بوضوح.
رسمت صور العناق المتبادل لجسدينا المشتعلين بالرغبة
والتي ولدت منها أصنام وآلهة
على صورة أولادنا المألوفة...

إننا نستطيع أن نعد القرون
مثلما نعد أسنان الطفل
بعطف وحنان...
حبنا مشتى الخرافات
والأساطير الغافية،
تلك التي تستيقظ بهدوء
مع كل لمسة من لمساتنا.
.... وهكذا يتجدد العالم القديم دائماً،
يتجدد مع كل حب طارىء،
يتجدد مع حبنا نحن.
وما تكرار حركاتك الخجولة

إلاّ تجديد للعالم القديم بحب جديد،
وترددك الجبان،
وخوفك الجاهل هذا،
الذي يعني أن لا بداية هناك بدونهما،
لا بداية هناك...

في الحب تكون البداية مختلفة دائماً،
أمّا النهاية فهي ذاتها،
النهايات متشابهة.
ولكن ماذا تعني لنا نهاية الحب؟
ليتأمّل في تلك النهاية من قارب على الانتهاء.
أمّا عن حبنا نحن فما زال في البداية.
وأودّ أن تكون البداية
مثلما... - وتذكري هذا -
مثلما عكست النار ظلالنا
على الجدران الرطبة للكهف،
وبألسنتها المتأججة صورت
رعبك
وعواطفي
... بدقة متناهية وطواعية.
صوّرت الاحتراق المتبادل بين رغبات جسدينا
بحيث ظلّت شعلة الحياة متأججة دائماً
بعذاب كالدخان

وبسعادة كلهب النارْ.

ولكن في هذا العالم
تظل السعادة أعمّ بكثير
من العذاب.
وإلّا لما أسرع الوقت هكذا،
مختصراً ساعة من السعادة إلى دقيقة...
إذاً، تعالي نبعد الخجل عنّا
فلا فائدة من ذلك،
كي لا يتصاعد منّا دخان الحرائق!
كي يتابع الحب سيرته بحرية، كلهيب صاف،
كقوت للآلهة التي تشبهنا...

أعرف أن كل ما نتناساه في العمر
قد لا يستحق النسيان،
لذا تناسي تردّدك
وحركاتك الخجولة،
ويجب أن تعرفي
بأن الخجل ذاته عار على أمثالنا.

تفتحي،
لنتفتح،
ولننسَ

بأننا تعارفنا حديثاً.

تفتحي،
لنتفتح،
ولتستيقظ روابط المودّة الغافية في أرواحنا
منذ قرون.
ولتتشابك أيدينا
ولنعد إلى الوراء مثلما في الحكايات ،
إلى ذلك المكان
الذي كنا فيه قبل أربعين
أو أربعة آلاف عام،
ومن هناك لنبدأ من جديد
رحلة حبنا الوليد،
لنعد... إلى أنفسنا،
لنعد... إلى أنفسنا.

بعض الحساب

(1)

آه من حبي الكبير...

إنه يساوي تماماً
مربع آمالي الضائعة
وباقي أحلامي البائسة...

بعض الحساب

(2)

آه من ألمي الكبير...

إنه ليس لي
بل لكل الذين
أعتبرهم أبنائي
أو أعتبر ولدهم.

آه من ألمي الكبير،
إنه لا يقبل القسمة على الجميع...

ما زال قدوم حبي بعيداً

عندما يكون حبي الجديد بعيداً،
فأنا أسمع صوته
ولكنني لا أراه،
كالعصفور الذي يزقزق
في الغابة...

تعزية أخيرة

إنك تعانين
من الألم الذي أسببه لك.
أمّا أنا فأتصبب عرقاً حاراً وبارداً
من خجلي.

ماذا عساي أن أقول لك الآن؟
تعزّي على الأقل
فإن العرق والدمع
لهما الطعم ذاته...

لا تنسى

لا تنسى أنه على الدوام،
عندما يرغبون شيئاً
ويزرعونه أملاً ويروونه إيماناً
لا يبرعم.

تذكر، أن ما يرجى يتأخر دائماً
وعندما يأتي
ينكرونه...

كيف سيعرف القيظ؟

كيف سيعرف القيظ
ما معنى البرد ؟
الجرح وحده يعرف
ما طعم الملح.
ترى من سبب آلاماً
لغيره،
هل يعرف
ما معنى الألم ؟

الحرية

لقد فهمت هذا أيضاً
أيتها الحرية
بأنك تشبهين الملح جداً.

عندما ينقّب عنك الناس
ويخرجونك من باطن الأرض
فإنهم يجرحون أيديهم،
كما يجرحونها من الزجاج.
ولكنك عندما تذوبين
فإنك كالملح تماماً
لا ترين،
بل تتحولين إلى نكهة – إلى طعم،
وعندما تغيبين
يفقد الطعم وتفقد النكهة،
وهذا ما يمكن أن نسميه بالظلم،
وعندما تفقدين

قد يتعفن
القوت النفيس
الذي هو قوت روحي...

حقاً، إنك تشبهين الملح.

ثمة بكاء... وبكاء

ثمة من يبكي كمولود حديث
يولول نائحاً ولكن... دون دموع.

وثمة من لا يبوح بهمسة
ولكن الدموع تتجمّع قطرة - قطرة
في عينيه.

وثمة إنسان آخر، مثلي (أو ربما مثلك؟)
لم يكن متعوّداً على البكاء بصوت عال،
دموعه لا تفيض من عينيه
بل تتسرب إلى الداخل
وتتجمع بأناة
في مسام قلبه المثقوب
كقطعة حجر بحري.

بحث عديم الفائدة
أو اكتشاف سعيد

آه، من العبث
من العبث جداً،
أن نبحث عن كل ما
فقدته البشرية
على الطرق التي
مرت عبرها.
تلك البشرية التي
جيوبها مثقوبة ومهترئة
منذ القدم.
ولكن الأرض صالحة كعجوز،
فهي تحفظ وتخبّىء فوراً
تحت تنورتها
كل شيء فقد.
(تخبئه في حفرة سريّة

أو تحت الغبار،
في الجليد الأبدي
أو في طبقة الفحم)
... ولكن الطرق كالشباب
تبدو غير مكترثة...
(كل ما فقد
ضاع بسرعة تحت أقدام فاقده،
وتحت دواليب السيارة
وحوافر البغل والحصان
وحتى في الصورة السوداء المغبشة للغيمة،
أي في ذلك الظل -
ذلك اللص والغاصب القديم).
ومن العبث،
من العبث جداً
بحث كل ما فقدته البشرية
على دروبها القديمة.
تلك البشرية
ذات الجيوب المثقوبة والمهترئة
منذ القدم.

وسعيد حقاً،
ومحظوظ أيضاً،
من يعثر على شيء

مما فقدته البشرية البائسة
على مفترق ضيق
من الطرق القديمة،
دون أن يبحث عنه
بل يلاقيه... رغماً عنه.
من يجده فجأة
بواسطة أشعة الشمس،
أو بفضل عينيه.
يجده... ولكنه لا يحفظه
... بل يعيده إلى صاحبه،
يعيده... إلى البشرية.
هكذا يعيد إليها
ذخيرة
من جمالها الضائع،
أو قسماً من صلاحها
أو من كرمها وحبها...

هكذا فقط
يمكن اكتشاف شيء ما
مما فقدته البشرية البائسة،
وإلّا، فمن العبث، ومن العبث جداً،
بحث كل ما فقدته البشرية
على الطرق التي

مرت عبرها.
تلك البشرية
ذات الجيوب المثقوبة والمهترئة
منذ القدم...

من مرة واحدة

يقولون، إنه لا يحدث شيء في الحياة من مرة واحدة،
لا يتمزق بساط ولا سجادة من مرة واحدة،
لا تشاد ولا تهدم قلعة من مرة واحدة،
لا يهطل ثلج ولا تهب ريح من مرة واحدة.

لا تنضج الثمار من مرة واحدة،
فكيف ينضج الناس من مرة واحدة ؟
لا يألفون زوجاً من مرة واحدة، فكيف أن يألفوا ثلاثاً ؟
لا يكتفون ولا يشعرون بحاجة إلى الماء من مرة واحدة،
لا اليوم يصبح ماضياً، ولا الغد يصبح مستقبلاً.

طبعاً
إن كل هذا صحيح.
إنه هكذا، كما هو.
ولكنهم، إذا سألوني مرة واحدة في حياتي كلها،
عن الذي أفضله

وأتمناه
وأحلم به،
لقلت:
- ما سيحدث فليحدث من مرة واحدة...

سوف

آه من كلمة «سوف»،
آه من هذه الكلمة،
ترى
هل ستكون لها نهاية ؟

سوف... نفعل كذا،
سوف... نفعل ذلك،
سوف... يصبح هكذا،
سوف... يصبح كذلك.
سوف... سوف...سوف...

وهكذا تتربّع كلمة « سوف »
على العرش،
وسنظل أمامها واقفين
ثم نركع لها...

الشجرة المنفردة

ثمة شجرة منفردة على التل،
شجرة معزولة عن الغابة،
شجرة وحيدة في العتمة.

كم تكرهها الغابة
كم تهزأ منها،
وتضحك ساخرة
من هذا الجبار
الذي لا يستطيع إخضاع
هؤلاء الأقزام
لإرادته
ومشيئته،
ولكونهم .... لا يستطيعون سجنه
في بوتقتهم الضيقة.

الغابة الحمقاء لا تدرك

ما أهمية هذه الشجرة بالنسبة إليها.

إنها شجرة البلوط
مانعة صواعق خضراء للغابة...

مثل السنة الكبيسة

الآن بدأت أفهم
- عندما راح شبابي يغرب -
إنني كنت أشبه تماماً
شهر شباط،
أتمدد وأتقلّص
بحسب وجود الحب.

على شاكلة الجمل

إنني قنوع كالجمل
ولكنني لا أحمل الحقد مثله.
ثمة شيء آخر
يجمع بيني وبين الجمل:

إيه...
قد تراني فجأة
أشتهي أن أرقص
على الجسر الآيل للسقوط.

أنا لست مطاطاً - أنا ورقة

آه، للأسف، أنا لست من المطاط،
لكي تسحبني... فأنجر
ثم تتركني ثانية... فأعود إلى ما كنت عليه.
أو (تجعلكني)
فأعود ثانية إلى شكلي القديم
بعد أن تلقي بي.

في الحقيقة، أنا أشبه الورق
إن سحبتني... تمزقني،
وإن (جعلكتني)... انتهيت.
لن تعيدني أية مكواة
إلى شكلي القديم.

إنّ الحياة قد تركت آثارها فيّ
لا تبرحني
مثلما لا تبرح الأحرف
الورقة المطبوعة...

بلا بطانة

أنا عميل للفرح
وبائع السرور الواسع،
إنني أملك حانوتاً مفتوحاً على مصراعيه
للضحكة الرنانة.
وأملك أيضاً
دكاناً مغلقاً نصف إغلاقة لبيع الابتسامة.
أمّا راحة كفيّ
وأصابعي العشرة
فهي ناقلة للسعادة.
فمي غرفة مطالعة... للحب،
ورجليّ
سيارة تقلّك إلى المواعيد،
وأمّا يديّ
فهما واسطة جيدة للاحتضان.
صدري لوحة لوسام.
لوحة لوسام... اسمه القلب،

والذي يحملونه في الوجه الداخلي للوحة.

بعد كل هذا
فما هي الحاجة ؟
لكي أكتب عن نفسي
كل هذا شعراً !

أنا...
أنا بطاقة موجهة إلى العالم،
لا تثنوني
ولا تلصقوني بالصمغ...

لقد أصبحت سبحة

لقد أصبحت سبحة بين أصابعكم
تلهون بي،
وتعدّون حبّاتي
ومع هذا تريدون مني
ألّا أرفع صوتي عالياً...

ساعة منبهة

وأخيراً، هل تعرفون من أكون ؟

إنني ساعة منبهة
بحسب طلبكم،
ومعبأة بأيديكم.
في أي وقت تفضلون
أوقظكم
بضجة صاخبة تفزع القلب،
كي لا تستمروا في النوم.

وأحياناً
يكون جزائي بدل الشكران
ضربة على رأسي
لكي أخرس صوتي...



المحتويات


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سلسلة روائع الأدب الأرضي

3

ساعة منبهة

وأخيراً، هل تعرفون من أكون

إنني ساعة منبهة

بحسب طلبكم

وصنعاً بأيديكم

في أي وقت تفضلون

أوقظكم

بضجة صاخبة تفزع القلب

كي لا تستمروا في النوم

وأحياناً

يكون جزائي بدل الشكران

ضربة على رأسي

كي أخرس [illegible]

نادي الشبيبة السورية ـ [illegible] ـ حلب ـ ص ب 3699

دار الحوار للنشر والتوزيع

سورية ـ اللاذقية ـ ص ب 1018 ـ هاتف 422339 ـ 412935